FAYROUZ2006
www.dvd4arab.com

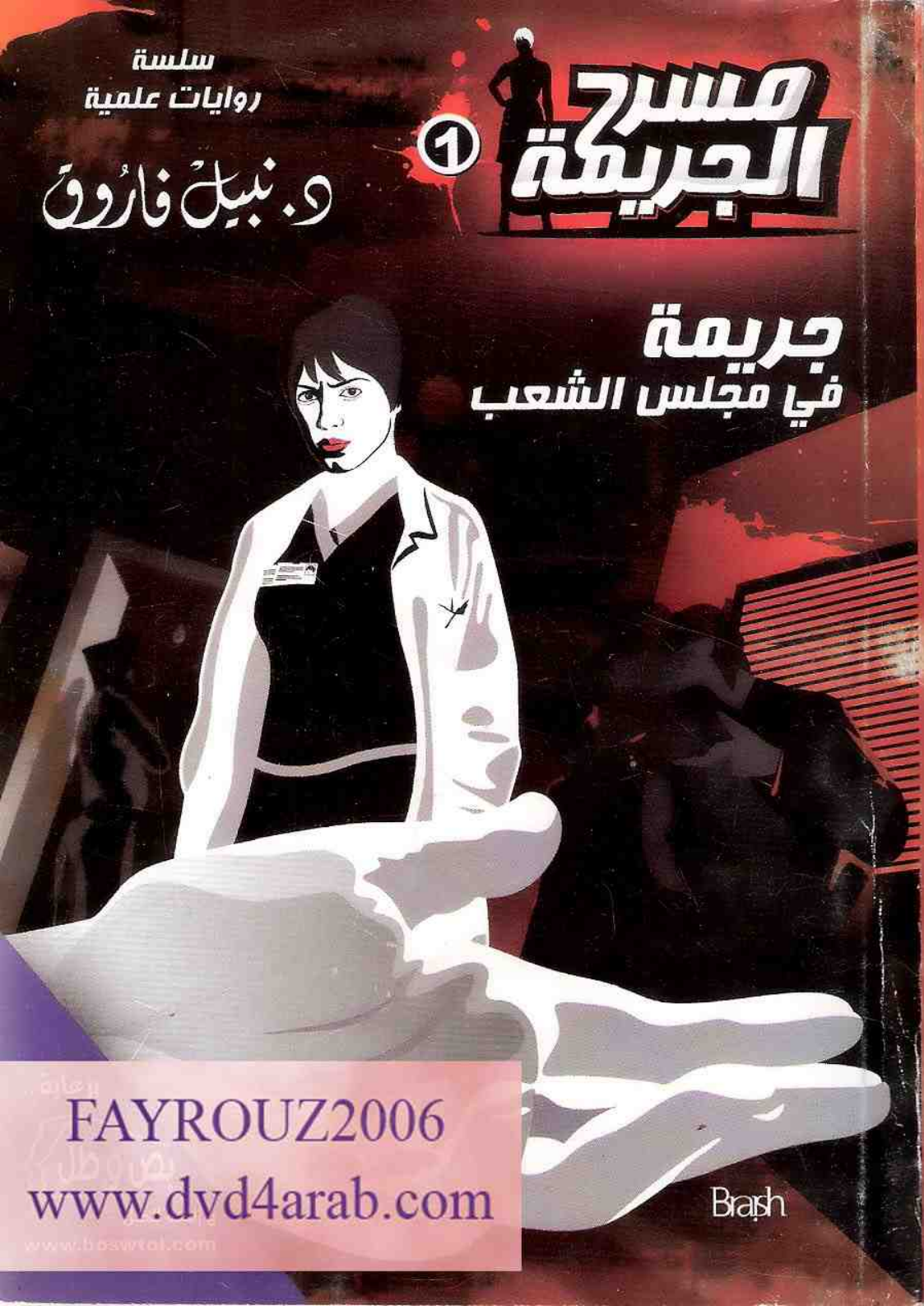

مسرح الجريمة

(نهير سالم) .... طبيبة شرعية، وباحثة، وعالمة متخصّصة، فى عصر جديد...

عصر تطوّر فيه كل شئ....

حتى الجريمة...

ولأن ميزان الحياة يحتم وجود رد فعل، لكل فعل، مساو له فى القوة، وضاد له فى الاتجاه، كان من الضرورى أن يتواجد مثلها...

ولكى تكشف الغموض، وتواجه أعقد الألغاز، كان من المحتم أن تلتقط بعينيها الفاحصتين، وعلومها العصرية، وحاستها العلمية الخاصة، كل لمحة، من ذلك المسرح الكبير...

مسرح الحياة..

ومسرح الجريمة.

د. نبيل فاروق

جريمة في مجلس الشعب

(١)

انطلقت زفرة عصبية ملتهبة، من أعمق أعماق صدر الدكتورة (نهير)، وهى تعبر مع زميلها (عزت)، تلك البوّابة المعدنية الكبيرة لمجلس الشعب، وراحت تتلفّت حولها فى توتر بلغ منتهاه، حتى أن (عزت) أطلق ضحكة مرحة، وهو يقول:

- اهدأى دكتورة.. آلاف يتمنون عبور هذه البوّابة، ويحلمون بدخول المجلس، ولو لحظة واحدة.

أجابته فى عصبية، وهى تقدّم أوراقها لموظف الأمن:

- يتمنون الحصول على الحصانة، أو الاحتماء من القانون، تحت القبة، وليس الحضور للاستجواب مثلنا.

ارتفع حاجباه فى دهشة، وهو يقول فى خفوت، خشية أن يسمعه أحد رجال الأمن:

- لسنا هنا لحضور استجواب يا دكتورة.. إنها مجرد جلسة استماع.

غمغمت محنقة:

- لست أدرى حتى ما الفارق.

انتقلت إليه عدوى التلفت حوله، وهو يهمس:

- فارق كبير جداً.. سنجلس فى الشرفة معظم الوقت، حتى تحين لحظة مناقشة القصور، فى الإجراءات الجنائية الطبية، لنلقى ما لدينا، وننصرف فى سلام.

هزَّت كتفيها، متمتمة فى سخط:

- لست أظن الدخول هنا كالخروج.

حاول أن يبتسم، وهو يهمس فى عصبية:

- هذا ليس حماماً.

مطت شفتيها، قائلة بصوت مرتفع نسبياً، وكأنما لا تخشى أن يسمعها أحد:

- ربما بالنسبة إليك.

تمنى لحظتها أن تنشق الأرض وتبتلعه، ولكنه لاذ بالصمت التام، ورجل الأمن يصحبهما إلى الشرفة،

ويجلسهما وسط رجال الصحافة، وما أن ابتعد، حتى همس (عزت):

- سيحين دورنا، بعد الاستجواب المقدَّم ضد وزير الثقافة مباشرة.

سألته هامسة:

- من قدَّمه.

أشار إلى رجل بدين، يجلس فى الصف الثالث، من منتصف القاعة، وهمس بدوره:

- النائب مازن مسعود.. صاحب أكبر عدد من الاستجوابات دوماً.

مطَّت شفتيها، وهى تقول، فى شئ من الامتعاض:

- نصف استجواباته بلا قيمة.. كل ما يعنيه هو أن يشير إليها الإعلام، ويذكر اسمه فى كل منها.

وافقها على قولها، وأضاف:

- ويقدم كل استجواب فى انفعال شديد.

غمغمت:

- هذا جزء من اللعبة.

كان يرغب فى مواصلة حديثه معها، لولا أن بدأت الجلسة، وتحدَّث رئيس المجلس على نحو موجز، ثم فتح الباب للاستجوابات المقدَّمة، ضد عدد من الوزراء..

وكما توقَّعت (نهير) تماماً، اندفع النائب (مازن) يتحدَّث فى انفعال شديد مبالغ، حول ما وصفه بأنه تجاوز أخلاقى شديد، حدث فى واحدة من مسرحيات القطاع الخاص، ونهض وزير الثقافة يدافع عن الموقف، ويحاول تبريره، والتستر على كل الأخطاء كالمعتاد، فانفعال (مازن) أكثر، وارتفع صوته كثيراً، وراح يلوِّح بذراعيه فى عنف، فمال (عزت) على أذن (نهير)، هامساً:

- هل ترين ذلك النائب النحيل، الذى يجلس إلى جوار (مازن) مباشرة؟!.. أراهنك أنه سيعترض على موقفه الآن، ويتخذ جانب وزارة الثقافة.

سألته فى دهشة:

- ولماذا توقعت هذا؟!

أجابها فى همس أكثر خفوتاً:

- إنه خصم لدود لمازن، ويهوى استفزازه فى كل جلسة.

غمغمت مندهشة:

- حقاً.

جذب هذا الأمر انتباهها بشدة، فراحت تراقب الموقف فى إمعان، وعقلها يدرس كل خطوة، بطبيعته التحليلية، التى طالما أرهقتها..

كان (مازن) شديد الانفعال، فى حين جلس جاره النحيل هادئاً، ينظر إليه بين لحظة وأخرى، فى اهتمام واضح، ثم لا يلبث أن يشيح بوجهه عنه، وكأنما لا يرتاح لرؤيته..

ووسط الجالسين، سار عامل بسيط، يقدِّم لكل نائب علبة من علب المياه الغازية، وتحرَّك نائب آخر، فهمس فى أذن (مازن)، ثم تراجع إلى مقعده، وراح يتبادل حديثاً خافتاً مع جاره، بدا من الواضح معه أنهما يسخران من الرجل، الذى تضاعف انفعاله، وراح يلوِّح بذراعيه فى حدة أكثر،

فنهض نائب آخر، وربَّت على كتفه، ولكن (مـــازن) دفعـــه بحركة حادة، وارتفع صوته، وهو يصيح به:

– لست أسمح لك حتى بإبداء رأيـــك.. أنـــت نائـــب فاسد، ورائحة فسادك تزكم الأنوف.

احتقن وجه ذلك النائب، وصاح به:

– ليس من حقك توجيه اتهامات عشوائية.. اعـــط دليلاً واحداً على ما تقول، وإلا فضع لسانك داخل فمك.

هتف به (مازن) متحدياً:

– وماذا لو لم أفعل؟!

صرخ فيه النائب، وهو ينقض عليه:

– سأقطعه.

كاد الاثنان يشتبكان، وكلاهما يوّجه عبارات جارحة للآخر، فاندفع بعض النوّاب، يحولون بينهما، واتسعت عينا (نهير) عن آخرهما فى الشرفة، وهى تقول:

– رباه!.. أمن الممكن أن يحدث هذا هنـــا!.. فـــى مجلس الشعب؟!

أجابها (عزت) فى عصبية:

- إنه تجاوز غير معتاد، ولكنهم سينهون الموقف بسرعة حتماً.

كان النوّاب قد فصلوا الرجلين عن بعضهما البعض بالكاد، وعاد كل منهما إلى مقعده، دون أن تهدأ ثورتهما، وبكل انفعاله، أخرج (مازن) علبة دواء من جيبه، التقط منها قرصاً، وألقاه فى فمه، ورئيس المجلس يوجّه اللوم للنائبين، على ما بدر منهما من تجاوز، ويؤكّد أن هذا لا يتفق مع طبيعة النواب الوقورة، ولا طبيعة المجلس نفسه، وأنه لن يسمح بمثل هذا التجاوز مرة أخرى، و...

وفجأة، نهض (مازن) واقفاً، وبدا وجهه شديد الاحتقان، واتسعت عيناه عن آخرهما، وانطلقت من حلقه حشرجة عجيبة، جعلت (نهير) تهب من مقعدها، فى نفس اللحظة التى حاول فيها النائب النحيل أن يسنده، وهو يهتف:

- إسعاف.. سيارة إسعاف بسرعة.

وقبل حتى أن يكتمل هتافه، سقط (مازن) بين ذراعيه، فعجز عن تحمُّل ثقله، وتهاوى الاثنان أرضاً..

وبكل توتر الدنيا، هتفت (نهير):

- أنا طبيبة.. أفسحوا لى المجال.. أنا طبيبة.

كانت هناك حالة من الهرج والمرج فى المجلس، ورجال الأمن يتحركون فى عصبية واضحة، فضاع صوتها وسط كل هذا، وجذبها (عزت) فى عصبية، قائلاً:

- اجلسى.. المجلس به طاقم إسعاف طبى خاص به.. لا شأن لنا بما يحدث هنا.

تملَّصت منه، وهى تندفع نحو الباب، هاتفة:

- ولكنه واجبنا.

اعترض أحد رجال الأمن طريقها بحركة حادة، وهو يقول فى غلظة وخشونة:

- عودى إلى مقعدك.

أبرزت التصريح، الذى يحمل اسمها ومهنتها، وهى تهتف:

- أنا طبيبة.

كرَّر فى خشونة أكثر:

- عودى إلى مقعدك.

تضاعفت عصبيتها، وهى تحاول إيجاد وسيلة منطقية، للتفاهم مع رجل أمن، لا مجال لديه للنقاش أو المنطق، وقبل أن تتوصَّل إلى وسيلة ما، سمعت من يهتف فى ذعر، من قاعة المجلس:

- لقد.. لقد مات.

اتسعت عيناها عن آخرهما، وتجمَّد الموقف كله دفعة واحدة، حتى بدا أشبه بلوحة صامتة، تعبِّر عن مأساة جماعية مباغتة، مع ملامح الذعر والذهول على الوجوه، قبل أن يقطعها صوت رئيس المجلس، وهو يقول فى عصبية:

- أين طاقم الإسعاف؟!

وهنا صاحت (نهير) من الشرفة:

- أنا طبيبة.

بدت صيحتها شديدة الوضوح، وسط الصمت الوجوم، الذى ساد المكان، فهتف رئيس المجلس فى حدة:

- أحضروا هذه الطبيبة.

لم يكد هتافه يبلغ مسامعها، حتى تحرَّكت الأمور فى سرعة مدهشة، ففى الوقت الذى انكمش فيه (عزت) فى مقعده، وجدت هى من يدفعها أمامه فى غلظة، لتصل إلى القاعة، ويضعونها أمام النائب الذى لقى ربه مباشرة..

وعلى الرغم من ثقتهم فى أنه قد مات بالفعل، تعلَّقت العيون كلها بها فى أمل وهى تفحصه فى سرعة..

هى أيضاً كانت تعلم أنه قد مات، إلا أن هذا لم يكن الشئ الوحيد الذى تفحصه، فقد فتشت جيوبه فى سرعة، وأخرجت بطرفى سبَّابتها وإبهامها علبة الدواء، التى تناول منها قرصاً، قبل مصرعه مباشرة، وألقت نظرة سريعة عليها، ثم تلفَّتت حولها فى توتر، قبل أن يسألها رئيس المجلس:

- أهناك أمل؟!.. أم أنه..

أجابته فى سرعة:

- لقد مات.

غمغم النائب النحيل فى حدة:

- وماذا أضفت من جديد؟!

رفعت عينيها إليه، وقالت فى حزم، لا يتناسب مع أنوثتها:

- ليست ميتة عادية.

حدَّق الكل فيها، فى تساؤل مندهش، فشدَّت قامتها، فى محاولة للتماسك أمامهم، وهى تضيف:

- لقد قُتِلَ.

وانفجرت عبارتها كقنبلة وسط قاعة المجلس..

قَنبلة من الذهول..

كل الذهول..

* * *

عقد رئيس مجلس الشعب كفيه خلف ظهره، وهو يتحرّك فى فراغ مكتبه، فى عصبية شديدة، قبل أن يتوقّف فجأة، ويرمق الدكتورة (نهير) بنظرة قاسية غاضبة، قائلاً:

- هل تدركين ماذا فعلت الآن؟!

أجابته متوترة:

- وماذا فعلت؟!

هتف ثائراً:

- أثرت بلبلة عنيفة، فى المجلس كله، وأمام جموع الصحفيين، دون أدنى إحساس بالمسئولية.. حتى اللفظ المستخدم، ليس مناسباً على الإطلاق.. كل ما يحق لك قوله، هو أنه ربما تكون هناك شبهة جنائية فى الموقف، لا أن تعلنى، بكل الثقة والوضوح، أنها جريمة قتل.

أجابته فى حزم:

- ولكنها كذلك؟!

صاح بها:

- ليس من حقك الجزم بهذا.. هناك إجراءات، ونظم، وخطوات قانونية وحتمية، قبل إعلان هذه النتيجة.

كان يتوقَّع منها تراجعاً مذعوراً، إلا أنه فوجئ بها تجيب بنفس الحزم الواثق:

- ربما يستخدم رجل الأمن، أو الطبيب الأوَّلى، عبارة الشبهة الجنائية يا سيِّدى، ولكننى طبيبة شرعية رسمية، وخبيرة بوزارة العدل، وحاصلة من الولايات المتحدة الأمريكية على شهادة الدكتوراه، فى فحص مسرح الجريمة، ومن إنجلترا على دكتوراه ثانية، فى الطب الشرعى والسموم، أضف إلى هذا أننى أحمل شهادتى بكالوريوس واحدة من كلية العلوم، وأخرى من كلية الطب، ثم أننى أستطيع إثبات ما قلت فوراً.

وصمتت لحظة، ثم استدركت فى عصبية:

- وبأسلوب علمى محض.

تطلَّع إليها رئيس المجلس فى دهشة، وهو يقول:

- حصلت على كل هذا، فى هذه السن؟!

قالت، وقد تسلَّل التوتر إليها لأوَّل مرة:

- كنت دوماً طالبة متفوِّقة.

رمقها رئيس المجلس بنظرة طويلة، ثم عاد يتحرَّك فى فراغ حجرته، قبل أن يسألها فى حزم:

- تقولين: إنك تستطيعين إثبات كل هذا.

كرَّرت، مستعيدة حزمها:

- وفوراً.

أضاف فى خشونة:

- وبأدلة علمية مقنعة؟!.

أشارت برأسها إيجاباً، وغمغمت فى حذر:

- وسأوقع شهادة رسمية بها أيضاً.

أومأ برأسه لحظات، ثم التقط سمَّاعة هاتفه، وقال فى صرامة:

- أخرجوا كل الصحفيين من القاعة، وليبق النوَّاب فى المكان، حتى ينحسم هذا الأمر.

وأعاد سمَّاعة الهاتف، مستطرداً، وهو يرفع عينيه إليها، بنظرة وعيد صارمة:

- فليكن.. سنحسم الأمر الآن.

مرة أخرى، وجدتهم يقودونها إلى القاعة، بعد أن أخلوا الشرفة من جميع الإعلاميين والصحفيين، الذين اجتمع بهم رئيس المجلس، ومسئول الأمن، وحذراهم من نشر كلمة واحدة عن الأمر، ودفعوها إلى حيث ما زالت ترقد جثة النائب (مازن)، وقال رئيس المجلس فى غلظة:

- هيا.. هاتى ما لديك.

التقطت (نهير) نفساً عميقاً، وقالت:

- سيادة النائب مات بهبوط حاد فى الدورة الدموية، على الرغم من تناوله قرصاً من مادة النترات، التى تعالج ذبحة صدرية يعانى منها، وتبدو واضحة فى شكل قفصه الصدرى، وحمله هذا الدواء طوال الوقت.

غمغم النائب، الذى تشاجر مع (مازن):

- هذا لا يثبت حدوث جريمة قتل.

أومأت برأسها إيجاباً، وقالت:

- ربما يثبتها هذا.

أشارت إلى ورقة ملقاة أرضاً، وعليها بقايا مسحوق أزرق اللون، فتطلَّع إليها رئيس المجلس فى دهشة، وهو يقول فى عصبية:

- وما هذا بالضبط؟!

أجابته فى سرعة:

- لا يمكننى معرفة ماهيته، دون فحص وتحليل كامل، ولكن يمكننى مقارنته بتلك الذرات، الملتصقة بطرف علبة المياه الغازية، والتى تشير إلى أن أحدهم قد دس ذلك المسحوق، فى علبة النائب (مازن)، الذى شرب المياه الغازية، دون أن يلاحظ هذا، فلقى مصرعه.

هتف رئيس المجلس:

- إذن فهذا سم؟!

هزَّت رأسها، قائلة:

- لم أفحصه بعد.

تبادل النوَّاب كلهم نظرة متوترة، ونهض النائب، الذى همس فى أذن (مازن):

- لن نقبل هذه الاتهامات دون دليل.

اندفعت تقول فى صرامة:

- يمكننى حسم الدليل خلال ساعة واحدة، لو قمت بفحص علبة المياه الغازية، وذلك المسحوق.

قال رئيس المجلس فى انفعال:

- وسيتم هذا فوراً.. ستحصلين على كل الإمكانيات اللازمة، وستوضع كل إمكانيات المعمل الجنائى تحت تصرفك.

ثم التفت إلى النواب، مضيفاً بكل صرامة:

- ولن يغادر أحد هذه القاعة، حتى ينحسم الأمر.

هتف النائب النحيل فى حدة:

- أبلغوا الشرطة، ولكن لا تحبسونا هنا، حتى...

قاطعه رئيس المجلس، بزمجرة صارمة:

- سيبقى الكل..

ثم عاد يلتفت إلى (نهير)، قائلاً:

– المعمل الجنائى على بُعد أمتار من هنا.. وأمامك ساعة واحدة، إما أن تثبتى حدوث القتل، أو...

لم يحاول إتمام تهديده، ولم تحاول هى حتى أن تسمعه، فقط حملت علبة المياه الغازية فى كيس من النايلون، وتلك الورقة، مع المسحوق الأزرق فى كيس آخر، وحملتها سيارة من سيارات المجلس، إلى مبنى المعمل الجنائى، ومعها مساعدها الدكتور (عزت)..

كان مكتب الطبيب الشرعى ينقل جثة النائب القتيل، والكل فى المجلس يشعر بتوتر بالغ، أما هى ومساعدها، فقد استقبلهما رجال المعمل الجنائى ببرود مستفز، وأبدوا عدم ارتياحهم وتعاونهم من اللحظة الأولى، ولولا الأمر الذى تلقوه من وزير الداخلية شخصياً، لما سمحوا لها حتى باستخدام أجهزتهم، التى بدت لها متأخرة بجيلين على الأقل، عن الأجهزة الحديثة، التى كانت تعمل عليها، أثناء فترة الدراسة لنيل شهادة الدكتوراة ..

أما مساعدها (عزت) فلم يكد ينفرد بها، وهى تجرى اختباراتها على المسحوق، حتى همس فى عصبية، وهو يتلفَّت حوله، على نحو مبالغ:

- ماذا فعلت يا دكتورة؟!.. لماذا ورطتنا فى هذا الأمر؟!

أجابته، دون أن تلتفت إليه:

- لولا ما فعلت؛ لمرَّ الأمر، دون أن ينتبه إليه أحد.

هتف محنقاً، وهو يواصل الحفاظ على انخفاض صوته:

- وما لنا نحن بهذا الأمر؟!.. لسنا حتى أعضاءً فى المجلس.. إننا مجرد مدعوين إلى جلسة استماع، أم أنك قد نسيت هذا.

لم يبد أنها قد سمعته، وهى منهمكة فى إفراغ بقايا المسحوق الأزرق، فى أنبوب اختبار، حملته فى حرص، إلى

جهاز الطرد المركزى، فواصل هو فى حدة، وحنق متضاعف:

- لقد دسست أنفك فى شئون سياسية، دون أى مبرِّر.. هل تتصوَّرين أنهم سيكافئونك، لو كشفت حقيقة الأمر؟!.. لو أن هذا ما يدور بخلدك، فأنت ساذجة واهمة، ولا تفهمين شيئاً مما يدور فى بلدنا هذه الأيام... الحكومة لا تكافئ أبداً... إنها تعاقب فقط.. ليس لديها أدنى إحساس بأنه ينبغى عليها أن تكافئ مواطناً واحداً، حتى لو أفنى حياته كلها من أجلها... إنها تشعر دوماً شعور السادة تجاه العبيد ... العبد من الطبيعى أن يخدم السيد، وألا ينتظر أى مقابل لهذا ... إنه مجرد عبد... وسترين إنهما لن يسمحوا قط بكشف أخطاء المجلس.. بل ربما يتسترون على الأمر كله، لو ثبت أن

القاتل هو أحد نواب الحكومة.. إننا لسنا فى أوروبا أو أمريكا .. الأمور هنا تسير على نحو مختلف.

قالت فى توتر:

- إنها وجهة نظرك.

أطلق ضحكة عصبية خافتة، وهتف:

- يبدو أنك أنت تعيشين فى عام يختلف عن الذى نعيش فيه نحن.. أفيقى يادكتورة .. أفيقى وانظرى إلى العالم الحقيقى ... العالم الذى تملكه دوماً أقلية حاكمة، ترى أنها الأحق بكل شئ، وأى شئ؛ بحجة أنها الساهرة على أمن البلد وأمانه... أقلية تستبح لنفسها كل شئ، وتحرم شعوبها من أدنى شئ... أقلية تعايرك طوال الوقت بما أنجزته، من أموالك جهدك وعرقك ... أقلية تجعلك تشعرين فى بلدك،

وكأنك مواطن غريب متسلل، لا يحمل تأشيرة إقامة، وليست له سفارة تحمية.. أقلية جعلتك تخشين رجال الشرطة وأقسامهم، المفترض منها حمايتك؛ لأنها أشبه بمنظمات إجرامية، بارعة فى مخالفة كل قانون.

قالت فى سخرية عصبية:

- لا تنس أننا هنا، وسط تلك الأقلية.

امتقع وجهه، وانكمش على نفسه، على نحو يثير الشفقة، وتلفّت حوله فى هلع، وكأنما يخشى أن ينقض عليه رجال الشرطة فجأة، من كل صوب، فأطلقت ضحكة باهتة، وتمتمت، منشغلة بعملها:

- اطمئن ... ليس لديهم وقت لنا، نحن أبناء الشعب العاديين ... إنهم منشغلون طوال الوقت، بحماية الكبار.

واستدركت فى سخرية:

- القلة.

مط شفتيه فى غضب، وقال وهو يعاونها:

- على أية حال، لا تنكرى يوماً أننى قد حذرتك.

هزّت كتفيها، قائلة:

- إنك تحذرنى طوال الوقت.

قال فى حدة:

- وأنت لا تستمعين إلىّ قط.

عادت تهز كتفيها، قائلة:

- ليس هذا ممكناً .... إننا نختلف فى طبيعتنا تمام الاختلاف؛ فأنت شخصية حذرة، تميل للسير إلى جوار الحائط، وتجنب المتاعب والمشكلات، وأنا على العكس تماماً.

بدا غاضباً، على الرغم من محاولته كتمان هذا، وهو يقول:

- وسيلتى هى المثلى؛ للعيش فى هذا البلد ..... إما أن تقبلى بما يحدث فيه، وتسيرين صامتة مستسلمة، إلى جوار الحائط، أو ترفضين مايحدث، وستجدين ألف حائط؛ لتضربى رأسك فيهم.

رمقته فى دهشة مستنكرة:

- ياله من رأى متخاذل.

أجاب فى حدة:

- أو شديد الحكمة.

غمغمت فى صرامة، وهى تدير جهاز الطرد المركزى:

- على أى الأحوال، هذا ليس شأناً سياسياً.. إنه شأن جنائى بحت.

أطلق ضحكة ساخرة قصيرة، وقال فى حدة أكثر:

- هراء .. ما دام الأمر يدور تحت قبة المجلس، فلا فارق بين الحالتين .. أتتصوَّرين أن فساد أى وزير مثلاً، هو أمر جنائى بحت، من اختصاص النائب العام وحده؟!.. ياللسذاجة، فى بلدنا يعتبر كل ما يمس السادة أمراً سياسيا، حتى فسادهم، وانحرافاتهم، وأخطائهم الفادحة، التى ربما يذهب ضحيتها المئات .... صدقينى، لو أفنى مسئول كبير قرية كاملة، أو حتى نشر وباءاً فانياً، وحتى لو باع الهرم ذاته، سيعتبرون هذا شأناً سياسياً.

غمغمت فى صوت شارد:

- خطأ.

قال فى عصبية:

- ربما فى مجتمعات أخرى، أما هنا، فكل شئ مرهون بإرادة الكبار.. مجتمع الخمسة فى المائة، الذى قامت الثورة للقضاء عليه، عاد مبرزاً أنيابه ومخالبه، والتهم كل ما فعلته الثورة، فى عقدين من الزمان، بل وربما تحوَّل إلى نصف فى المائة أيضاً.. على الأقل، كانت هناك صحافة قادرة على كشف الفساد قبل الثورة، ورأى عام يتفاعل معها، وحكومات تمتلك ذرات من حياء، لم يعدله وجود فى زمننا هذا، و...

قاطعته فى صرامة:

- كفى.. لم أكن أشير إلى كل هذا، عندما تحدثت عن الخطأ.

سألها مبهوتاً:

- أى خطأ تقصدين إذن؟!

أشارت (نهير) إلى مقياس الطيف أمامها، وهى تجيب فى حزم:

- هذا.

حدَّق فى المقياس، دون أن يفهم ما تعنيه، فاعتدلت هى، وأضافت بكل حسم:

- لقد عرفت كيف قتلوا النائب (مازن).

وارتفع حاجبا (عزت) فى دهشة..

بلا حدود.

* * *

(٢)

ارتسمت علامات الجدية والصرامة، على وجه رئيس المجلس، وهو يراجع بعض الأوراق فوق المنصة فى صمت، شاركه إياه الجميع، دون أن يطلب منهم هذا، عندما ارتفع صوت النائب النحيل، يشق أستار الصمت بغتة، فى حدة:

- هذا تجاوز لنظم المجلس.. ليس من المفترض أن نجلس نحن النوّاب هنا، فى انتظار تحقيقات عبثية، تسعى إليها امرأة مأفونة، لا تتمتع حتى بالحصانة.

رفع رئيس المجلس عينيه إليه فى بطء، وأجابه فى صرامة، بلهجة أستاذ يتحدّث إلى تلميذ مشاغب:

- هذه المرأة مؤهَّلة تماماً لما تجريه من أبحاث، يا سيادة النائب، وتحمل من المؤهلات مالايمكن التشكيك فيه، ولقد تحرّى السيد وزير الداخلية شخصياً أمرها،

وليست عليها أية مؤاخذات أمنية، وانتظارنا لما يمكن أن تجلبه من نتائج هنا، أفضل من فضّ الجلسة دون حسم الأمر، والكل يحمل التساؤل فى أعماقه، وبذرة الشك فى كيانه.

قال النحيل فى عصبية:

- وهل يبدو لك هذا إجراءاً قانونياً؟!..

أجابه صارما:

- يبدو لى إجراءاً مناسباً؛ لحفظ كرامة المجلس وهيبته.

ثم أدار عينيه فى الحاضرين، بنظرة يحفظونها جميعاً، قبل أن يضيف:

- ولدى أوامر باستخدمه، والمضى فيه حتى النهاية .... أياً كانت النتائج.

حسمت عبارته الأخيرة الموقف تماماً، وألجمت كل الألسنة، وأخرستها فى الحلوق، حتى نهض النائب، الذى

همس فى أذن (مازن)، وقال فى عصبية حذرة:

- لا توجد لدينا أية تساؤلات.. إننا حتى نرفض مجرد توجيه الاتهام، إلى أحد منا .. كلنا هنا رجال شرفاء، ولا يمكن أن يقدم أحدنا على ارتكاب جريمة قتل.

اندفع ذلك الذى تشاجر مع القتيل، يقول بدوره:

- ثم أن المرحوم (مازن) سقط أمامنا جميعاً، دون أن يقترب منه أحد، فكيف تكون هذه جريمة قتل؟!

أجابهم رئيس المجلس، فى صرامة أكثر:

- الدكتورة (نهير) طلبت ساعة واحدة لإثبات الأمر، لم تتبق منها سوى بضع دقائق، وإن غداً لناظره قريب.

قال النائب النحيل فى حدة:

فليكن.. سننتظر تلك الساعة فقط، ثم سننصرف بعدها، سواء حسمت الأمر أم لا.

رمقه الرئيس بنظرة نارية، وهو يقول:

- سيبقى الجميع حتى النهاية، مهما طال الأمر.

مرة أخرى، ألجمت عبارته شديدة الصرامة الألسنه، وابتلع كل منهم لسانه مجبراً، ولكنه لم يكد ينهى عبارته، حتى اندفع أحد رجال الأمن داخل القاعة، بصحبة الدكتورة (نهير)، التى عاودها توترها الشديد، فور دخولها، وراحت تتلفَّت فى عصبية بالغة، وهى تهرول خلفه فى ارتباك، والعيون كلها ترمقها بنظرات نارية ملتهبة، تحمل الكثير من المقت، والغضب، والاستياء، مع لمحة من الفضول المترقب، فأشار إليها رئيس المجلس؛ ليحسم الأمر، قائلاً:

- تفضلى يا دكتورة.

تلفَّتت حولها مرة أخرى، وتضاعفت عصبيتها، وهى تسير وسط القاعة، نحو المنصة، وتعتليها فى صمت، فسألها رئيس المجلس، من المستوى الأعلى:

- هل توصَّلت إلى شئ؟!

شاهد الجميع شفتاها تتحرَّكان، دون أن يصدر عنهما أدنى صوت، فأرهف النواب سمعهم فى انتباه، قبل أن تتنحنح هى، وتقول، وعصبيتها تتضاعف:

- نعم.

ثم أدارت عينين عصبيتين فى الحاضرين، وأضافت:

– لقد عرفت كيف قُتِلَ النائب (مازن).

سرت همهمة غاضبة فى القاعة، فور نطقها العبارة، فارتبكت هى، ورفعت صوتها، فى محاولة للسيطرة على الموقف، وهى تكمل:

– من الواضح أن القتيل اعتاد الانفعال، فى كل مرة يقدِّم فيها استجواباً، ومع انفعاله، ولأنه مصاب بمرض الذبحة الصدرية، كان يصاب دوماً بآلام الصدر مما يدفعه إلى تناول أحد أقراص النترات، التى تعمل على توسيع الأوعية الدموية، وتضخ المزيد من الدم لقلبه، فتخفِّف آلامه.

اندفع النائب النحيل، يقول محتداً:

– حتى قتلته.. هذا ما أردت قوله.. أليس كذلك؟!

... هل ترين أن زميلنا النائب المحترم قتل نفسه، بجرعة دواء خاطئة؟!

قالت فى حدة:

– لو أن هذا سبب الوفاة، لما أشرت مجرد إشارة، إلى القتل، من قريب أو بعيد، بل ولما استخدمت المصطلح من أساسه.

ثم صمتت لحظة، واستدركت، فى حذر شديد:

- ولكن هذا لا ينفى أن الأقراص قتلته.

هتف النائب المتشاجر فى ثورة:

- هذه المرأة تعبث بنا.

ارتبكت الدكتورة (نهير) أكثر، مع نظرات الاتهام العنيفة، التى يرميها بها الكل، وهى تقف على المنصة السفلى، فقال رئيس المجلس، مستوضحاً فى اهتمام:

- هل قتلته أقراص الدواء؟!

تردَّدت الدكتورة (نهير) لحظة، قبل أن تقول فى خفوت:

- ليس على نحو مباشر.

نهض النائب، الذى همس، قائلاً فى عصبية:

- هل ستظل ترميننا بعبارات غامضة مطاطة، أم هناك أمل فى أن نحصل على جواب صريح ومباشر.

احتقن وجهها، وارتباكها يتضاعف أكثر وأكثر، والنظرات النارية تكاد تحرقها فوق المنصة،فمال رئيس

المجلس إلى الأمام، وكأنما يطل عليها، وهو يقول، محاولاً دفعها إلى إلقاء ما لديها على مسامعهم:

- هل استبدل أحدهم أقراص الدواء، بنوع من السموم مثلاً؟!

أجابته فى سرعة متوترة:

- مطلقاً.. لقد قمت بتحليل أقراص الدواء فى العلبة، ووجدتها كلها سليمة، ومن غير المنطقى أن يدس أحدهم قرصاً ساماً، فى علبة دواء، يحملها النائب فى جيبه طوال الوقت، ثم كيف له أن يتوقّع أى قرص سيتناوله منها بالتحديد؟!...

هتف المتشاجر فى غضب:

- أظننا قد بلغنا مرحلة سخيفة، لا يصح بعدها أن نواصل الاستماع إلى...

قاطعته (نهير) مندفعة، دون أن تراعى قواعد اللياقة:

- لقد قتلته سترات السيلدينافيل.

ظهرت الدهشة على وجوههم جميعاً، وقال رئيس المجلس فى حدة:

- لقد فسرت اللغز بمعضلة.

تابعت، وكأنها لم تسمع التعليق:

- أحدهم سحق عدة أقراص، من سترات السيلدينافيل، وأضافها خفية، إلى علبة المياه الغازية، التى كان يشربها النائب، وعندما تناول قرص النترات، تفاعل مع السترات، فتمدَّدت أوعيته الدموية على نحو فائق، ولقى مصرعه بهبوط حاد فى الدورة الدموية فوراً.

تبادل الكل نظرات متوترة مندهشة، ونهض أحد النواب، يقول فى اعتراض:

- ومن منا عبقرى كيميائى أو دوائى، بحيث يمكنه الحصول على تلك السترات المزعومة؟! ... أم أنك توجهين الاتهام إلى أصحاب المهن الطبية منا ؟!..

أجابته الدكتورة (نهير) فى حسم:

- الحصول علي عدة أقراص، من سترات السيلدينافيل،لا يمثل معضلة على الإطلاق؛ لأنها متوافرة

فى كل الصيدليات تقريباً، بعد إباحة تداولها، ومعروفة باسم..

بترت عبارتها دفعة واحدة، وحملت ملامحها توتراً أكثر، وعيناها تدوران فى كل الوجوه فى عصبية، قبل أن تكمل، مشيحة بوجهها:

- الفياجرا.

دوت الكلمة فى القاعة كقنبلة، تردَّد صداها فى ذهول مستنكر، ارتسم على كل الوجوه، وشعرت معها (نهير) بخجل شديد، وكأن الحاضرين كلهم يربطون بين تلك الأقراص، ذات المفعول الجنسى، وأنوثتها الواضحة المشرقة، وخاصة عندما ساد عقبها صمت رهيب، والعيون كلها تحدق فيها ..

وبكل ارتباكها وتوترها، تابعت فى عصبية:

- أى شخص، يقرأ نشرة الاستخدام، داخل علبة من علب الفياجرا، سيجد تحذيراً واضحاً من عدم تناولها مع أدوية القلب، وبالذات تلك التى تعتمد على النترات، والشخص الذى قتل النائب (مازن)، كان يعلم أنه سينفعل

حتماً أثناء الاستجواب، وأن البعض سيسعى لاستفزازه، وإثارة المزيد من توتره وانفعاله، وسيتناول حتماً أحد أقراص النترات كالمعتاد، لذا، فقد دس له أقراص الفياجرا المسحوقة، فى علبة المياة الغازية، وساعدت المادة السكرية، فى المياه الغازية، على سرعة امتصاص المادة الفعَّالة، حيث تفاعلت مع قرص النترات، بعد قليل من تناوله، واشتركت معه فى مضاعفة توسيع الشرايين، لتنهار الدورة الدموية كلها دفعة واحدة.

ساد وجوم شديد فى القاعة، وتطلَّع الكل إلى بعضهم البعض، غير مصدقين ما سمعوه، أو غير مستوعبين للأمر، قبل أن ينهض أحد النواب، قائلاً:

- ولماذا لا تفترضين أن المرحوم (مازن) قد تناول الفياجرا بإرادته، دون أن يدرك تأثيرها على قلبه، أو تفاعلها مع ما يتناوله من أدوية؟!

أجابته فى سرعة:

- لو أنه فعلها، لتناول قرصاً واحدة، أو حتى قرصين؛ ففى مثل عمره، لا يمكن أن يجازف بأكثر من هذا،

ولكن الكمية التى بقيت فى علبة المياه الغازيـــة وحـــدها، تساوى ثلاثة أقراص على الأقل، ومـــع اتـــصالى بالطبيـــب الشرعى، الذى فحص الجثة، علمت أن دمه يحوى مايقرب من ستة أقراص أخرى، ولا يمكنه أن يتناول كل هذه الكمية بإرادته، إلا إذا...

بترت عبارتها دفعة واحدة، فاندفع النائب النحيـــل، يقول فى عصبية:

- هل تحاولين الإشارة، إلى أن زميلنا المحترم قد انتحر بإرادته؟!..

قالت فى سرعة:

- لقد درست هذا الحتمال، ووجدت أنه، لـــو أراد الانتحار، لما احتاج إلى سحق الأقراص، وإحـــضارها إلـــى المجلس، فى ورقة خاصة، ولما حاول التخلص مـــن تلـــك الورقة، ودفعها بقدمه بعيداً، كما اتضح لى من فحـــصها... كان سيفعل هذا فى منزله وحـــده، ويتـــرك خلفـــه رســـالة انتحار.. أو لم يكن ليهتم أو ينفعل بشأن استجواب، لن يحيا حتى لمتابعته.

هتف أحدهم:

- ربما كان...

أدرك، قبل أن ينطق عبارته، أنها تتنافى مع المنطق السليم، فتراجع على نحو ملحوظ، وهو يتمتم:

- ومن يرغب فى قتله؟!.. ولماذا؟!

بدت عصبيتها واضحة فى صوتها، وهى تقول:

- لست أدرى لماذا، ولكننى أعرف من كانت لديه الفرصة لدس أقراص الفياجرا المسحوقة فى علبته.

اشرأبت الأعناق كلها نحوها فى تساؤل، حوَّله رئيس المجلس إلى سؤال مباشر:

- من يا دكتورة؟!

تردَّدت طويلاً هذه المرة، وهى تستعيد كلمات مساعدها (عزت)، وحديثه عن السياسة وتعقيداتها، ثم لم تلبث أن أشارت بسبَّابتها إلى المتشاجر، والهامس والنحيل، قائلة:

- هذا، وهذا، وذاك.

انتفض النواب الثلاثة فى غضب، وصاح المتشاجر فى ثورة:

- هذه المرأة تجاوزت حدودها.. نحن نواب تتمتع بالحصانة، وليس من حق أحد اتهامنا، على هذا النحو.

وهتف النحيل فى حدة:

- هذا لم يحدث قط، فى تاريخ المجلس كله.

أجابه رئيس المجلس فى صرامة:

- وموقفنا الحالى لم يحدث أيضاً، فى تاريخ المجلس، منذ إنشائه.

صاح الهامس فى غضب شديد، وهو يشير إلى (نهير) بسبَّابته متوعداً:

- حاكموا هذه المرأة، التى تلقى اتهاماتها جزافاً، قبل أن نصبح جميعنا متهمينً.

هتفت (نهير)، مدافعة عن نفسها، وقد بدا لها أن النواب يوشكون على الفتك بها، من شدة غضبهم:

- أقراص الفياجرا المسحوقة لم تكن فى العلبة فقط، وإنما كانت بقاياها فى ورقة، ملقاة أسفل النائب القتيل

أيضاً، مما يشير إلى أن أحدهم دسَّها في علبة النائب، أثناء الجلسة نفسها، ولقد تابعت الموقف طوال الوقت، من الشرفة، ولم أر أحداً يقترب من النائب سوى ثلاثتكم.

تعالت أصوات الغضب والاحتجاج فى القاعة، فنهض رئيس المجلس، وقال فى حزم:

- اصطحبينى إلى مكتبى، يا دكتورة (نهير).

أسرعت تلحق به؛ للفرار من هذا الموقف كله، فى حين استدار هو إلى النواب، قائلاً:

- ولن يغادر أحدكم القاعة، قبل أن ننتهى.

تركهم يتجادلون حول الموقف فى غضب واستنكار، وأحدهم يحاول جمع بعض التوقيعات على عريضة كبيرة؛ لطلب إلغاء ما يحدث، ونقل الأمر كله إلى سلطات التحقيق الرسمية، واصطحب هو (نهير) إلى مكتبه، وهناك واجهها فى صرامة:

- دكتورة (نهير).. لقد أثرت عاصفة من الغضب والتوتر فى القاعة، باتهام هؤلاء النواب الثلاثة، وهذا أمر

لم يحدث، فى تاريخ المجلس... ولا حتى فى تاريخ المجالس النيابية كلها.

غمغمت مرتبكة:

- تصوَّرت أننى أقوم بواجبى.

هزَّ رأسه، قائلاً:

- الأمور لا تعالج هنا بهذا الأسلوب.. هناك قواعد ونظم، يتم تطبيقها فى الحياة العامة، وتتضاعف أكثر وأكثر، عندما يتعلَّق الأمر بالمجلس.

سألته منكمشة:

- أكان ينبغى أن أكتم ما لدى إذن؟!

صمت بضع لحظات، وهو يتطلَّع إليها بنظرة صارمة، ثم قال:

- كلا.

نطقها، وعاد خلف مكتبه، واستقر هناك صامتاً بضع لحظات، ليضيف:

- ولكن ينبغى أن تتعلمى، كيف تواجهين الأمر هنا، بأسلوب دبلوماسى.

أومأت برأسها علامة الفهم، أو محاولة التظاهر بذلك، فتراجع فى مقعده، وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه، قبل أن يسألها فى اهتمام:

- أنت واثقة مما لديك.. أليس كذلك؟!

أومأت برأسها مرة أخرى، وغمغمت:

- لقد قمت بتحليل المادة بنفسى، و...

قاطعها فى حزم:

- أقصد فيما يتعلّق بفرصة القتل.

ارتبكت مع سؤاله، وقالت فى حذر:

- لم أقصد اتهام شخص بعينه، ولكن...

لم تستطع إتمام عبارتها، فأومأ هو برأسه هذه المرة، وتنهَّد فى عمق، وقال:

- المشكلة أن ثلاثتهم من أعدى أعداء النائب (مازن) بالفعل، وكل منهم لديه سبب منطقى، للقضاء عليه، وإن لم أتخيَّل أن يصل الأمر بهم إلى القتل.

قالت فى حذر أكثر:

– من قتله، لم يكن يتوقَّع انكشاف أمره قط، بل ربما تصوّر أن الأمور ستسير بسرعة أكثر، عندما تحدث الوفاة فى المكتب، وأن الفقيد سيوارى التراب فى سرعة، ودون الدخول فى تعقيدات، أو خوض إجراءات، قد تكشف أمره..

قلب كفه، قائلاً بصوته الفخم:

– ما من قاتل يتوقَّع أن ينكشف أمره أبداً، لقد عملت بالمحاماة فترة كافية، لاستيعاب هذا الأمر تماماً، ولكن الموقف هنا له حساسية خاصة.

تمتمت:

– أعلم هذا.

تنهَّد مرة أخرى، وقال:

– ربما لو فحصنا البصمات على العلبة، فقد..

قاطعته، دون أن تنتبه إلى تعارض هذا، مع أبسط قواعد الذوق واللياقة:

– لقد فعلت.

اعتدل فى انتباه، وانتبهت إلى تجاوزها، فاحتقن وجهها خجلاً، وتابعت:

- لم تكن هناك أية بصمات، مما يوحى بأن أحدهم مسحها فى عناية، أثناء انشغال الكل بمصرع النائب.

سألها رئيس المجلس فى دهشة:

- ولا حتى بصمات (مازن) نفسه؟!

هزَّت رأسها نفياً، وأجابت:

- لم تكن هناك بصمة واحدة.

ثم أضافت فى حسم:

- وهذا دليل آخر، على أنها جريمة قتل متعمَّدة؛ فلو أنه أمر طبيعى، لبقيت بصمات النائب نفسه على الأقل.

أجابها فى صرامة:

- فى حكم القانون، يعتبر هذا قرينة، وليس دليلاً.

هزَّت كتفيها، متمتمة فى عصبية:

- فليكن.

تأمَّلها رئيس المجلس بضع لحظات أخرى، ثم نهض من خلف مكتبه، واتجه إليها، قائلاً:

- تدركين بالطبع مدى حساسية هذا الأمر وخطورته، وتأثيره المباشر على هيبة وكرامة الدولة.

قالت فى دهشة مستنكرة:

- هيبة وكرامة الدولة؟!.. وما صلة هذا بهيبة وكرامة الدولة؟!.. إنها جريمة قتل، أياً كانت هوية القاتل أو الضحية.

هزَّ رأسه نفياً فى حزم، وقال:

- قولك هذا يعنى أنك لا تفقهين شيئاً، بشأن هيبة الدولة وكرامتها.. إننا نتحدَّث عن مجلس نيابى تشريعى، له مكانته واحترامه، وهو أعلى سلطة، فى البلاد كلها، بحكم القانون والدستور، فماذا لو أشيع أن أحد أعضائه ارتكب جريمة قتل.. ألا ينتقص هذا من هيبة المجلس، ومن هيبة الدولة بالتالى؟!

أجابته، وهى تعقد حاجبيها فى توتر:

- ما أعرفه عن هيبة الدولة، هو أنه لو سرقت فاطمة بنت محمد، صلى الله عليه وسلم، لقطعت يدها.. الهيبة هى أن يتساوى الكل أمام القانون، أياً كانت مناصبهم أو هوياتهم.

أشاح بوجهه، قائلاً فى حدة:

- ربما بالنسبة للعامة من أمثالك، وليس بالنسبة لرجال السياسة.

قالت معترضة:

- ولكن فى الدول الديمقراطية...

قاطعها بمنتهى الصرامة:

- لا شأن لنا بغيرنا.

ثم اعتدل يواجهها، وشبَّك كفيه خلف ظهره فى قوة، متابعاً، بلهجة بدت أقرب إلى الوعيد:

- المهم أننا فى موقف خاص جداً، ولدى أوامر عليا، بحله داخل جدران المجلس فقط، وما أطلبه منك الآن هو ألا يتجاوز الأمر هذه القبة.. هل تقسمين على هذا؟!

تردَّدت (نهير)، فاستدرك فى قسوة:

- فوراً.

صمتت (نهير) بضع لحظات، ثم تنهدت فى استسلام، قائلة:

- لن تكون هناك سلطة تفوق مجلسكم.

قال فى غضب:

- لست أتحدَّث عن أية سلطة، بل عن الصحافة والإعلام بالتحديد.

هزَّت رأسها، قائلة:

- لا شأن لى بهما فى المعتاد.

وصمتت لحظة، ثم اضافت فى خفوت:

- ثم أنهما لم تعد لهما سلطة فعلياً.

التقى حاجباه، وهو يسألها فى صرامة:

- ماذا تعنين؟!..

أجابته فى سرعة:

- أقول أننى لن أبلغهما.

قال بمنتهى الحزم:

- عظيم.

ثم عاد إلى مكتبه، وهو يتابع:

- فى هذه الحالة، سيظل ما تعرفينه هنا طى الكتمان، مهما بلغت خطورته، وتسرب الأنباء إلى الصحافة، يعنى تورطك.

تمتمت فى ضيق:

- مفهوم.

جلس خلف مكتبه، والتقط سمّاعة هاتف داخلى، وقال:

- أريد ملفات ثلاثة من النواب.

ألقى اسم النحيل، والهامس، والمتشاجر ثم أعاد سمّاعة الهاتف، قائلاً:

- ستجدين فى تلك الملفات، كل ما يتعلّق بصراعات النواب الثلاثة، مع (مازن) رحمه الله، ربما ساعدك على تقليص الاتهام بدليل مباشر.

غمغمت:

- إنها قرائن فحسب.

لم يحاول التعليق على عبارتها، وإنما نهض مرة أخرى، وقال:

- وأمامك ساعة إضافية، وبعدها..

سألته فى قلق:

- وبعدها ماذا؟!

رمقها بنظرة نارية، وهو يجيب:

- بعدها سأغلق باب المناقشة، فى هذا الأمر كله.

تمتمت فى خفوت هامس:

- أعلم هذا.. موافقون.. موافقة.

مال رئيس المجلس نحوها؛ لأنه لم يسمعها جيداً، فاعتدلت، قائلة فى عصبية:

- سأبذل قصارى جهدى.

أشار بسبَّابته، قائلاً فى صرامة:

- وخلال ساعة واحدة.

قالها، وغادر المكان، ليتركها وحدها فى مكتبه، وقبل حتى أن تتخذ مقعداً، دخل أحد رجال الأمن، حاملاً ملفات النواب الثلاثة، ووضعها أمامه، ثم جذب مقعداً، وجلس عند الباب، يراقبها فى صمت..

وبكل عصبيتها، راحت هى تتصفَّح الملفات، بحثاً عن أية قرينة، تشير إلى القاتل..

ويالهول ما قرأته..

الثلاثة كانوا غارقين فى الفساد حتى النخاع، ومصالحهم كلها تتعارض بشدة، مع مصالح النائب الصريع..

وأكثر ما أدهشها فى الأمر، هو أن ملفاتهم، التى وضعها المجلس أمامها، تفوح برائحة فساد تزكم الأنوف، وعلى الرغم من هذا، فالملفات نفسها تؤكِّد أن أحداً لم يوّجه إليهم اتهاماً واحداً، فيما عدا (مازن)، الذى قدَّم أكثر من شكوى بشأن ثلاثتهم، للجهاز المركزى للمحاسبات..

كل منهم كان لديه الدافع القوى، والفرصة لدس أقراص الفياجرا المسحوقة، فى علبة المياه الغازية..

ولكن من منهم فعلها؟!.. من؟!...

أزاحت الملفات جانباً، وراحت تستعيد كل ما حدث، منذ اللحظة الأولى، وهى توقن من أنها ستجد الدليل، فى مسرح الجريمة نفسه، و...

وفجأة، توقَّفت لقطة بعينها فى ذاكرتها، وتألَّقت معها عيناها على نحو واضح، حتى أن رجل الأمن نهض من مقعده، وبدا عليه التوتر والتساؤل والحذر..

ولكنها لم تشعر حتى بوجوده..

فقد انتبهت إلى نقطة غابت عن أذهان الجميع..

نقطة هامة.. للغاية.

* * *

(٣)

على عكس المتوقَّع، خيَّم صمت عجيب على قاعة مجلس الشعب، والكل يترقَّب عودة رئيس المجلس والدكتورة (نهير)؛ لحسم ذلك الأمر، الذى لم يحدث مثله قط، ربما فى تاريخ المجالس النيابية كلها..

كان كل نائب - تقريباً - يفكِّر فى تداعيات الموقف، وتأثيره على الحياة النيابية، وما يمكن أن يؤدى إليه من تطورات، أمنية وسياسية، يمكن أن تربك كل خططه المستقبلية، أو الأدهى، إلى منح الرئيس مبرراً مناسباً؛ لحل المجلس، وإجراء انتخابات جديدة، تتفادى خلالها الحكومة، ما أسفر فى السابقة، من زيادة نسبة التيارات المعارضة، أكثر مما ينبغى، أوأكثر مما يحتمل الحزب الحاكم..

نائب واحد فقط، كان يفكِّر فى الموقف كله، على نحو مختلف ..

نائب واحد، كان يعيد دراسة الأمر بأكمله منذ البداية ..

لقد كان شديد الحرص، فى تنفيذ خطته الدقيقة ..

راقب النائب (مازن) طويلاً، عبر عدد من الجلسات، ودرس نمطه، وأسلوبه، ولاحظ الأقراص التى يتناولها، كلما اكتنفه انفعال ما، أثناء الاستجوابات، بل ونجح فى سرقة أحد تلك الأقراص، واختبر تأثير مزجه بقرص من الفياجرا، على أحد كلابه، وشاهد الكلب ينهار، ويسقط صريعاً أمامه، وأيقن من نجاح الخطة..

ووسط الهرج والمرج، لم يكن من العسير عليه أن يدس حبوب الفياجرا المسحوقة، فى علبة المياه الغازية...

وبكل الشغف، شاهد (مازن) يتناولها..

ويسقط..

ويموت..

وكان من الممكن أن يمضى الأمر، دون أن ينتبه إليه أحد، أو يشك فى أمره شخص واحد، وأن تعتبر الوفاة

عرضية، وتتم الإجراءآت فى سرعة ويسر، ودون الكثير من التدقيق؛ احتراماً لمكانة النائب ..

لولا وجود (نهير)..

أحنقه كثيراً أن تذكَّرها، واستعاد ما فعلته، وكيف كشفت خطته كلها فى ساعة واحدة، وراجع كل الاحتياطات التى اتخذها جيداً، عندما دسَّ المسحوق فى علبته هو، ثم استبدلها بعلبة (مازن)، أثناء انشغال الكل بالشجار، وكيف استعادها بعد سقوط هذا الأخير، ومسح ما عليها من بصمات، وهو يمسكها بمنديله، الذى أخفاه فى راحة يده، وأعادها فى سرعة، دون أن ينتبه إليه أحد..

لقد نفذ خطته بمهارة فائقة، وارتكب جريمته بكل الدقة، ولكن تلك الطبيبة كانت له بالمرصاد..

ولكن هذا لا يعنى أن أمره سينكشف، وهو ما يثق فيه تماماً..

فى نفس الوقت، الذى دارت فيه كل هذه الأفكار فى رأسه، كان رئيس المجلس يواجه (نهير) فى مكتبه، قائلاً

فى صرامة:

- ما تطلبينه يتجاوز كل منطق يا دكتورة، وكل الأعراف والتقاليد، والنظم القانونية أيضاً.

قالت (نهير) فى اهتمام مشوب بالانفعال:

- ولكنها الوسيلة الوحيدة يا سيادة الرئيس.. القاتل اتخذ كل الاحتياطات، ولكنه لم ينتبه حتماً إلى هذه النقطة.

قال فى حدة:

- ولكننى لا أستطيع أن أطلب من النواب هذا.

قالت منفعلة:

- ولماذا يرفضون؟!.. القاتل وحده سيجد هذا تجاوزاً؛ لأنه قد يكشف أمره.

ضرب رئيس المجلس سطح مكتبه براحته، قائلاً فى حسم:

- لن أناقش هذا الأمر.. قلت: إننى لا أستطيع مطالبة النواب المحترمين بهذا.. ابحثى عن وسيلة أخرى.

هتفت معترضة:

- ولكن هذا سيحسم الـــ....

قاطعها بمنتهى الصرامة، مكرراً:

- ابحثى عن وسيلة أخرى.

نطقها، واندفع مرة أخرى خارج مكتبه، تاركاً إياهـــا خلفه، بصحبة رجل الأمن الذى عاد يراقبها بنظرة حـــذرة، تحمل مزيجاً من التحفز والشك، فشعرت بكثير من اليـــأس والإحباط، وجلست تتصفَّح ذهنها، بحثاً عن وسيلة أخـــرى، بخلاف تلك التى رفضها رئيس المجلس فى إصرار..

وبحكم مهنتها، راحت تفكِّر فى وسيلة علمية، بعـــد أن أيقنت من أن القاتل قد محا البصمات تماماً، ومحا معها كل أثر لحامضه النووى..

وبحكم مهنتها أيضاً، كانت تدرك أن الجريمة الكاملة أمر مستحيل!..

أى قاتل، مهما بلغت براعته ودقته، يرتكب حتماً ولو خطأ واحد..

خطأ يوقعه حتماً، فى قبضة العدالة..

إنها حكمة الله - عزّ وجلّ - ألا يفلت أى مجرم من العقاب، مهما طال به الزمن، ومهما ارتفع به المقام فى الدنيا..

ولكن السؤال هو: أين ذلك الخطأ؟!..

أين الثغرة، التى لم ينتبه إليها القاتل، والتى ستكشف أمره حتماً، لو انتبهت هى إليها؟!.. أين؟!.. أين؟!..

فى غمرة توترها ويأسها، استعاد ذهنها نفس المشهد، الذى أثار انتباهها منذ البداية..

مشهد النواب، وهم يتزاحمون حول جثة النائب (مازن)، فور سقوطه..

كلهم كانوا يتحركون فى توتر وانفعال..

فيما عدا واحد..

واحد فقط، كان يبدو عليه الترقّب، بأكثر مما يبدو عليه القلق..

ووحده كان ثابتاً فى مكانه، وعيناه تنظران إلى أسفل، وليس إلى الأمام كما يفترض..

لم يلق نظرة واحدة على جثة زميله النائب، بقدر ما كان يتابع شيئاً ما، على الأرض..

ولأنها فحصت جيداً تلك الورقة، التى كانت تحوى بقايا أقراص الفياجرا المسحوقة، فهى تعلم أنه كان يزيحها بقدمه، فى تلك اللحظة..

وهذا يعنى أنها ستعثر على ذرة أو ذرتين، من سترات السيلدينافيل، فى جانب حذائه أو طرفه..

ولكن رئيس المجلس يرفض تماماً أن يخلع النواب أحذيتهم، أياً كان السبب. إنه يرى، من وجهة نظره، أن فى هذا إهانة للنواب، على الرغم من أنها تتصوَّر، أن الإهانة الحقيقية، هى ألا تتحقَّق العدالة فى مجلسهم، لأية اعتبارات كانت!!..

وربما هذه وجهة نظرها؛ لأنها ليست من العاملين فى السياسة، أو لأن السياسة فى بلدنا (الديمقراطى)، لا

تسير على النهج نفسه، الذى تسير به فى البلاد الأخرى، التى تبحث عن العدالة، حتى لو طالت الجريمة أكبر رموزها..

السياسة لدينا لها محاذير، ومعايير، وتحفظات، وأنياب ومخالب شرسة، حادة، قاسية، لا تعرف الشفقة أو الرحمة..

جلست على أقرب مقعد إليها، ودفنت وجهها بين كفيها، وقاومت بشدة رغبتها فى البكاء، من شدة إحساسها بالقهر واليأس، واستعادت فى ذهنا كلمات مساعدها (عزت)، وهو يؤكِّد أنها قد ورَّطت نفسها فى أمر يفوق قدراتها..

لم تكن تدرك - عندئذ - كم هى معقَّدة ومرهقة دهاليز السياسة..

لم تكن تعلم أن الأمر يفوق قدراتها بالفعل..

ألف مرة..

تراقصت دمعة فى مقلتيها، وقاومت للفرار من عينيها، فازدردت لعابها، عبر حلقها الجاف فى صعوبة، فى

محاولة لمنعها، إلا أنها هزمتها، وانسالت على وجنتيها، فأسرعت تمسحها، وهى تقول لرجل الأمن، الذى لم يرفع عينيه عنها، فى عصبية واضحة:

- ألديك حل ما؟!

ظلّت ملامحه جامدة قاسية، وإن أطلّ تساؤل حائر من عينيه لحظة، تحوّل بعدها إلى صرامة غاضبة، وهو يرفع يده بحركة آلية، ليضغط سمّاعة الاتصال الصغيرة فى أذنه، وكأنما يرهف سمعه؛ ليفهم معنى ما قالته، فلوّحت بيدها، قائلة:

- لا بأس.. إنها مشكلتى أنا.

فى نفس اللحظة، التى نطقت فيها عبارتها، كان النائب الهامس يقدّم عريضة كبيرة، متخمة بالتوقيعات لرئيس المجلس، وهو يقول، فى حدة لم يستطع كتمانها فى أعماقه:

- أغلبية الأعضاء يطلبون إنهاء هذه المهزلة، التى تجاوزت كل حدودها.

انعقد حاجبا رئيس المجلس فى صرامة، وقال فى قوة:

- ما يحدث ليس مهزلة، يا سيادة النائب المحترم.. إنها جريمة قتل، والرئيس نفسه لن يرضى بمرورها دون تحقيق حاسم وحازم.

قال النائب، فى عصبية واضحة:

- حرصاً على هيبة المجلس، كان ينبغى أن تتولى التحقيق هيئة قضائية، على أرفع..

قاطعه رئيس المجلس، فى صرامة بالغة:

- وهل درس النواب المحترمون، تداعيات مطلبهم هذا؟!.. هل حسبوا احتمالات تسرب الخبر، إلى الصحافة والإعلام، مع وجود هيئة تحقيق كاملة؟!.. هل فكَّروا فى أثر نشر هذا، على نظرة فخامة الرئيس للمجلس، وثقته فيه؟!

امتقع وجه النائب الهامس، وهو يقول فى صوت منخفض، وكأنما يخشى أن يتسرَّب صوته إلى الرئيس

نفســـه:

- هل.. هل تشير سيادتك إلى حل المجلس؟!

أومأ رئيس المجلس برأسه إيجاباً، دون أن تختفـــى انعقادة حاجبيه الصارمة، فاعتدل النائب، وتضاعف امتقاع وجهه، وهو يتمتم:

- أنت على حق.. شكراً سيادة الرئيس.. شكراً.

تمتم بالكلمات، وهو يسرع عائداً إلى مقعده، ويطوى العريضة، ويدسها فى جيبه، مدركاً أن حـــل المجلـــس قـــد يؤدى إلى انعدام فرصته فى دخوله مـــرة ثانيـــة، أو إلـــى اضطراره خوض انتخابات مبكرة، قبل أن تبرد نيـــران مـــا أنفقه فيِ السابقة، أما رئـــيس المجلـــس فواصـــل متابعـــة الموقف بنظرته الصارمة بضع لحظات، قبـــل أن يـــستدير، عائداً إلى مكتبه، واندفع داخله بحركة حـــادة، قـــائلاً بكـــل صرامة:

- هل توصلت إلى أمر ما؟!

انتفضت الدكتورة (نهير) فى عنف مع المفاجأة، وهتفت بصوت مرتفع، أكثر مما ينبغى، من فرط انفعالها:

- ليس.. ليس بعد.

رمقها رئيس المجلس بنظرة أكثر صرامة، وقال فى حدة:

- فى هذه الحالة، ليس أمامى سوى حسم الأمر تماماً، مهما كانت النتائج.

هتفت فى ارتياع:

- هل تعنى ما أخشاه؟!

تجاهل سؤالها تماماً، وهو يتابع بنفس الحدة:

- سأختم الجلسة، وأسمح للنواب بالانصراف.

شحب وجهها، وهى تقول مذعورة:

- هذا يعنى أن القاتل سيفلت بجريمته.

قال رئيس المجلس فى غضب:

- لا تنسى أنك تتحدثين عن نواب محترمين.

تلاشى شحوبها، وهى تهتف:

- وأحدهم قاتل.

لوَّح بذراعه كله فى حدة، وهو يقول:

- ما زال نائباً.

تراجعت محتقنة الوجه، ومتمتمة:

- لم أتصوَّر أن الأمور تسير على هذا النحو.

أجابها فى صرامة قاسية، أشبه بالزمجرة:

- أمور عديدة لا تتصوَّرينها.

هزَّت رأسها، وقلبت كفيها فى يأس، وهى تقول:

- فى هذه الحالة، لا أملك أى حل.

بدت نظرته شديدة الغضب والحدة، وهو يتجه إلى مكتبه، ويجلس خلفه، قائلاً:

- إذن فقد أضعت وقت المجلس دون طائل.

هتفت معترضة:

- كان لدى حل منطقى، ولكنك..

قاطعها فى خشونة عنيفة:

- هل ستكررين هذا طوال الوقت؟!

تراجعت فى عصبية، وزفرت على نحو ملتهب، قبل أن تقول، وهى تشيح بوجهها:

- وهل ينبغى أن أعتذر مثلاً؟!

مع إشاحتها بوجهها، ارتطم بصرها بوجه حارس الأمن الجاف، وملامحه التى لا تحمل أى انفعال، ولاحظت أنه يغلق كل أزرار سترته فى إحكام، على عكس المعتاد، وتساءلت عما إذا كان هذا بسبب برودة جو الحجرة، مع جهاز التكييف القوى، أم..

"ولِمَ لا؟!.."..

قطع رئيس المجلس أفكارها، بعبارته الصارمة، فالتفتت إليه بوجه شاحب، ليتابع فى غلظة:

- الاعتذار أمر واجب، فى مثل هذه الظروف؛ ما دمت قد أهدرت وقت المجلس، دون التوصُّل إلى القاتل، أو...

جاء دورها لتقاطعه، وهى تقول فى انفعال:

- لو أن الاعتذار أمر واجب عند الخطأ، فلماذا لم نسمع مسئولاً واحداً يعتذر للشعب، مهما كانت فداحة الخطأ، الذى ارتكبه فى حقه ؟!..

اتسعت عينا رئيس مجلس الشعب، وهو يكاد يلتهمها بنظرة غاضبة مستنكرة، مستهجنة، فأضافت فى عصبية أكثر.

- مشكلة السادة والعبيد مرة أخرى.

رأته يعقد حاجبيه، فى غضب هادر هذه المرة، فاستدركت فى سرعة؛ لتدير حافة الحديث، نحو وجهة أخرى:

-المشكلة أننى توصّلت إليه.

ارتفع حاجبا رئيس المجلس فى دهشة، على الرغم منه، وبدت من حارس الأمن حركة متوترة، قبل أن يهتف الأوّل:

- توصّلت إليه؟!

أجابته (نهير)، وهى تشعر بالاختناق، من فرط الإحساس بالعجز، واليأس والقهر:

- نعم.. توصّلت إليه، ولكننى لا أملك الدليل على إدانته.

صمتت لحظة، ثم استدركت، فى حنق واضح:

- الدليل العلمى.

بدا صوت رئيس المجلس خافتاً، وكأنما يحمل بواطن رغبته، فى سؤالها عن هوية القاتل، وهو يقول:

- لن تطلبى منى أن أخلع حذائه مرة أخرى.

أجابته فى حنق أكثر:

- لو أننى فى مكانك لفعلت.

بدت حركة متوترة أخرى من رجل الأمن، فالتفتت إليه بحركة حادة، ونظرت بحركة آلية إلى سترته، التى بدأ يحل أزرارها فى عصبية، وكأنما يتأهّب لسحب سلاحه، و...

وفجأة، تداعت عدة أمور مترابطة فى ذهنها..

ثم توقَّفت عند أمر واحد..

سترته..

وبنظرة حادة قوية، حدَّقت فى سترة رجل الأمن، الذى تضاعف توتره، وسحب مسدسه بالفعل، ورئيس المجلس يفقد قدرته على التماسك، ويسألها فى لهفة، غلفها بإطار صارم:

- من ارتكب هذه الجريمة؟!.. من ؟!.

استدارت إليه بحركة حادة، مجيبة فى انفعال:

- السترة.

سألها فى دهشة حذرة:

- أية سترة؟!

أجابته، وقد بلغ انفعالها مبلغه:

- سترة القاتل..

لم تمض دقائق خمس على عبارتها، حتى كانت تدلف مرة أخرى، مع رئيس المجلس إلى القاعة، وتتطلَّع

بتوترها المعهود إلى كل من بها، وهى تؤكّد فى أعماق نفسها، أنها لن تعتاد هذا المشهد قط، مع طبيعتها المتحفظة، المائلة إلى العزلة، ولقد تضاعف توترها عدة مرات، عندما أشار إليها الرئيس باعتلاء المنصة السفلية، واستقر هو على العليا، وجال ببصره فى النواب بنظرة صارمة، ألجمت ألسنتهم جميعاً، فران على المكان صمت مهيب، قطعه هو بقوله:

- حانت لحظة حسم الأمر ..

لثانية أو ثانيتين، تواصل ذلك الصمت المهيب فى القاعة، والعيون كلها تتطلّع إليه، وإلى الدكتورة (نهير)، التى تنحنحت فى عصبية، وحاولت عبثاً أن تشيح بوجهها، بعيداً عن العيون المتربصة، التى بدت وكأنها تملأ كل ركن من القاعة، فيما عدا السقف، الذى رفعت عينيها إليه، فى نفس اللحظة التى تفجَّرت فيها موجة من الهمهمة فى القاعة، على نحو عنيف..

كان الكل يتحدَّثون فى آن واحد تقريباً، فيما عدا واحد ..

القاتل الحقيقى..

وحده تراجع فى مقعده، فى مزيج من العصبية والتوتر والترقُّب والحذر، وعيناه مثبتتان على وجه الدكتورة (نهير)، وعقله منطلق، يستعيد مرة أخرى كل التفاصيل، ويتساءل عما إذا كان قد ارتكب خطأ ما ..

وفى صرامة، أخفت لمحة انفعال، أشار رئيس المجلس إلى (نهير)، قائلاً:

- أخبريهم بالأمر.

لم يعد هناك من مفر إذن!...

إنها مضطرة لأن تخفض بصرها، وتواجه هذا الجمع الكبير، من مختلف المشارب، والذى يمثل أغلبية (دائمة)، من أعضاء الحزب الحاكم، الذين يربحون كل جولة انتخابية (إجبارياً)، وعدد متناثر من المستقلين، والإسلاميين، والمنتمين إلى أحزاب أخرى، ما زالت تحلم (عبثاً) بتبادل

الأدوار، وما زالت تصدِّق (سذاجة)، وعود الحزب الحاكم وحكومته، بديمقراطية نزيهة زاهية ..

وفى بطء، اعتدلت تواجه الجميع، حكومة ومعارضة، قبل أن تتنحنح فى قوة، وتقول بصوت مبحوح:

- لقد كشفنا القاتل.

تعالت الهمهمة مرة أخرى، ومعظم الموجودين يتساءل عما قالته، فكرَّرت عبارتها بصوت أقوى، أرادته واثقاً، إلا أنه خرج، على الرغم منها، مرتجفاً متوتراً، وهى تقول:

- كشفنا النائب القاتل.

ثم غاص عنقها بين كتفيها، واختلست نظرة إلى رئيس المجلس، متمتمة:

- سيادة النائب القاتل.

خفتت الهمهمات لسبب ما، وتعلَّقت بها كل العيون، وغلب التساؤل والفضول الجميع، فران عليهم تدريجياً

صمت عميق، جعلها تتنحنح مرة أخرى، وتقول متابعة فى حذر:

- كنت أعلم منذ البداية، أن الحل كله يكمن فى تلك الأقراص المسحوقة، وكنت أتصوَّر أننى سأعثر على الدليل، فى حذاء القاتل، عندما تخلَّص من الورقة، التى وضع بها المسحوق، وأزاحها بقدمه بعيداً عنه، ثم نبهنى شئ ما إلى حقيقة أخرى.

تألَّقت عيناها، وشملها حماس، جعلها ترفع صوتها دون أن تدرى، وهى تتابع:

- فالقاتل أحضر المسحوق إلى هنا فى جيبه حتماً، وفى جيب سترته بالتحديد؛ لأنه لن يضعه فى حقيبته، خشية أن يلاحظه أحد، وهو يفتحها ويلتقطه، ولن يضعه فى جيب سرواله؛ لأن هذا يستلزم منه النهوض قليلاً، أو الاعتدال على نحو ملحوظ، وهو يخرجه، وسينبه الجالس إلى جواره إلى الأمر على الأقل، أما لو وضعه فى جيب سترته، فسيتيح له هذا التقاطه، ودسَّه فى علبة المياه

الغازية الخاصة به خفية، ثم لن يكون عليه بعدها، سوى أن يستبدل علبته بعلبة النائب (مازن)، وينتظر حتى يشرب مسحوق سترات السيلدينافيل، ويدفعه إلى الانفعال، حتى يتناول قرص النترات، ويحدث التفاعل المطلوب، و...

لم تحاول إتمام عبارتها، ولكن النظرة التى ارتسمت فى كل العيون، أنبأتها بما دار فى الأذهان، مما شجَّعها على أن تواصل، قائلة، فى حماس أكثر:

- لهذا مسح القاتل كل البصمات عن العلبة، بعد سقوط القتيل؛ لأنه كان يعلم أن بصماته ستملأ كل مكان منها.

قال النائب المتشاجر فى توتر:

- ما هذا بالضبط؟!.. أهى جلسة من جلسات المجلس، أم واحدة من حلقات شيرلوك هولمز البوليسية؟!.. لسنا هنا لنسمع استنتاجات امرأة مأ...

قاطعته (نهير) فى حزم:

- ليست استنتاجات يا سيادة النائب، ولكنها حقيقة علمية، مع فحص جيب سترة القاتل، الذى سيحوى حتماً

ذرات من مسحوق الفياجرا؛ فمع ازدحام النواب حول النائب الصريع، قد نجد الذرات فى أكثر من حذاء، ولكنها فى جيب واحد فقط.

تراجع المتشاجر فى توتر، عندما أدارت عينيها فى وجوه الجميع، ثم بلغ حماسها وانفعالها ذروته، وهى تهتف، مشيرة إلى أحدهم:

- أنت يا سيِّدى.

اتسعت عينا النائب النحيل، وانتفض على مقعده، وهو يهتف:

- أنا.

أجابته فى حزم، وكأنما زالت كل توتراتها ومخاوفها من المكان دفعة واحدة:

- نعم.. أنت.. وحدك كنت تجلس إلى جوار النائب (مازن)، وتملك الفرصة لتنفيذ الجريمة، بالأسلوب الذى وصفته، وأنت من اعتاد معارضته واستفزازه فى كل استجواب، كما سيتفق معى الكل، ولو سلمتنا سترتك الآن، ستثبت ذرات المسحوق فى جيبها ما أقول.

استدارت الوجوه كلها إلى النائب النحيل، فى ذهـول مستنكر، جعله ينكمش فى مقعده على نحو مثير للشفقة، ثم لم يلبث أن ضمّ سترته إليه فى شحوب شديد، وهو يتمـتم بصوت منخفض مرتجف، وعصبية أشبه باعتراف صريح:

- إننى.. إننى أمتلك حصانة.

وران بعدها صمت آخر على القاعة..

صمت ثقيل كالجبال.. أو أكثر ثقلاً..

ولم تنس (نهير) عبارته هذه أبداً..

لم تنسها، وهى تتابع الصحف يومياً فى شغف، بحثاً عن خبر ولو صغير، دون أن تجد إشارة واحـدة للتجربـة الرهيبة، التى عاشتها بنفـسها هنـاك ... فـى مجلـس الشعب..

فقط، حملت الصحف نبـأ وفـاة النائـب المحتـرم (مازن)، بسكتة قلبية، أثناء حضور واحدة مـن الجلـسات الهامة، فى قاعة المجلس، وتعازى الكل لأسـرته، والتـى احتلت صفحة وفيات كاملة ..

أما النائب النحيل، فقد غادر البلاد فى اليوم التالى، لحضور مؤتمر وهمى، وتم اتهامه بفساد مالى، وأعلنت التهمة بعد ساعتين، من وصول طائرته إلى دولة أوروبية، لم توقع اتفاقية تبادل مجرمين مع مصر، وما زال طلب رفع الحصانة عنه مقدماً، من أحد نواب المعارضة، ولم يتم حسمه بعد، داخل المجلس ... أو خارجه..

لم تنس (نهير) عبارته أبداً؛ لأنها جعلتها تتلقى أخيراً درساً كبيراً وخطيراً..

فى السياسة.

* * *

(تمت بحمد الله)

نجــم النجــوم

نجـــم النجـــوم

(١)

* لم تكد الدكتورة (نهير) تصل إلى مقر عملها، فى مصلحة الطب الشرعى، ذلك الصباح، حتى أدركـــت علـــى الفور أن هناك ظرف طارئ، يفوق المعتـــاد، فـــصحيح أن طبيعة العمل جعلتها تعتاد رؤية رجـــال شـــرطة، يقتـــادون بعض المجرمين، أو المشتبه فيهم، أو حتى ضحايا جـــرائم الاعتداء، بمختلف ألوانها؛ لإجـــراء الفحـــوص الـــشرعية اللازمة، إلا أنه لم يكن مـــن المـــألوف أبـــداً، أن يتواجـــد أصحاب الرتب الكبيرة داخل المصلحة، مهما كانت أهميـــة الفحوص المطلوبة، أو الضحية القادمة، لذا، فمجرَّد رؤيـــة لواء شرطة، يحمل جهاز الاتصال اللاسلكى، ويتحدَّث عبره بكل هذا الاهتمام، كانت - مـــن وجهـــة نظرهـــا - دلـــيلاً واضحاً، على أهمية الحدث، أو الضحية..

وقبل أن تنطلق عقليتها التحليلية؛ لدراسة واستنباط الأمر، اندفع مساعدها (عزت) نحوها، وهـــو يقـــول فـــى

عصبية، وبوجه شديد الاحتقان:

- لماذا تأخَّرت يا دكتورة.. إننـا ننتظـرك بفـارغ الصبر.

ألقت نظرة سريعة على ساعة يـدها، وقالـت فـى صرامة:

- إنها التاسعة إلا ست دقـائق، ومواعيـد العمـل الرسمية..

استوقفها فى توتر:

- المدير ينتظرك فى مكتبه.

ثم انخفض صوته كثيراً، وهو يضيف، فيمـا يـشبه الهمس:

- وبصحبته الوزير شخصياً.

سألته فى دهشة:

- وزير العدل؟!

هزَّ رأسه نفياً فى عصبية، وأشـار إليهـا بخفـض صوتها، وهو يسبقها إلى مكتب المدير، هاتفاً:

- أسرعى.

تبعته إلى حجرة المدير، واستوقفهما رجل أمن فى زى مدنى، عند الباب، وسألهما عن هويتهما فى صرامة، ثم همس بشئ ما، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى، وسمح لهما بعدها بالدخول..

وكان الوزير هناك بالفعل..

وزير سيادى، استقبلها بنظرة متجهمة، وهو يقول، قبل أن تنطق بكلمة، واحدة:

- دكتورة (نهير).. المدير وافق على تكليفك رسمياً، بمهمة شديدة الحساسية والسرية.

رمقت (نهير) مديرها بنظرة خاصة، وهى تغمغم:

- بإرادته؟!

خفض مديرها بصره فى ارتباك، وكأنما يقر بخلاف هذا، فى حين تجاهل الوزير كلمتها تماماً، وهو يتابع، وكأنه لم يسمعها:

- لدينا صحفية، من صحف المعارضة.

ضغط بشدة حروف العبارة الأخيرة، وكأنمـا ينقـل إليها رسالة خفية، فرفعت حاجبيها وخفضتهما، وقالت فـى لهجة، تحمل نبرة تحد:

- وماذا عنها؟!

أكمل، متجاهلاً قولها مرة أخرى:

- تدّعى أنها قد تعرّضت لحالة اغتصاب.

اندفعت (نهير) تقول فى حدة:

- من رجل شرطة؟!

هزّ الوزير رأسه فى حركة حادة، وقال فى غـضب واضح:

- رجال الشرطة لا يغتصبون الصحفيات أو غيرهن.

انفرجت شفتاها، وهمّت بقول شـئ مـا، إلا أنهـا أدركت أن الموقف يتناسب أكثر مع الصمت، فعادت تطبـق شفتيها، والوزير يشيح بوجهه، متابعاً:

- إنها تتهم لاعب كرة.

خُيِّل إليها أنها لم تسمع الكلمة جيداً، فتساءلت:

- لاعب ماذا؟!

أجابها مديرها هذه المرة، بلهجة حملت عصبية واضحة:

- لاعب كرة يا دكتورة (نهير).. وليس لاعباً عادياً.. إنها تتهم (نادر شريف).

ردَّدت فى اهتمام:

- من؟!

أجابها الوزير فى صرامة:

- أعتقد أنك تعرفين (نادر شريف) جيداً.. إنه هدَّاف الفريق الأوَّل، وصاحب الأهداف الثلاثة الرائعة، فى مباراة الكأس الأخيرة.

حاولت أن تستوعب الأمر، وهى تقول فى حذر:

- إنه نجم كرة قدم إذن.

أجابها الوزير، فى صرامة أكثر:

- ليس مجرَّد نجم كرة.. إنه نجم النجوم، وساحر الكرة، فى السنوات الثلاث الأخيرة، وهو أمل (مصر) كلها،

فى الفوز بالبطولة الدولية، التى ستبدأ مبارياتها، بعد يومين فحسب، وشعبيته لم يحظ بها لاعب فى أى ملعب، منذ زمن طويل جداً، و...

قاطعت الوزير، دون أن تنتبه إلى ما فى هذا من تجاوز للياقة:

- ومتهم فى جريمة اغتصاب.

لوَّح الوزير بيده، وهو يقول فى حدة:

- إنه مجرد قول، من صحفية معارضة.

قالت فى حدة مماثلة:

- لا شأن للأمر بكونها صحفية معارضة، أو صحفية حكومية.. إنه قول أنثى، تعرَّضت لأبشع أنواع المهانة والانتهاك.

قال فى سرعة وصرامة:

- قول مقابل قول..

سألته، مستعيدة حذرها:

- ماذا يعنى هذا؟!

أجابها، وهو يلوِّح بذراعيه هذه المرة:

- (نادر) يؤكِّد أن الأمر لم يكن اغتصاباً على الإطلاق.. بل علاقة شخصية، تمت برغبتها وإرادتها، بل وبتحريض كامل منها أيضاً، وبعدها طالبته بأن يتزوَّجها، وعندما رفض، اتهمته باغتصابها.

التقى حاجبا (نهير)، وهى تقول:

- قصة متقنة.. ستبرِّر أية أثار للاعتداء الجنسى، وبعض آثار العنف، والصحفية ليست قاصراً بالتأكيد، مما قد يعفيه من المسئولية الجنائية تماماً.

أجابها الوزير فى حزم:

- بالضبط.

تطلَّعت إليه بضع لحظات فى صمت، قبل أن تسأله، فى لهجة حملت نبرة صارمة:

- وهل من المعتاد أن يخرج الوزير بنفسه، فى حالات مماثلة؟!

أجابها فى صرامة متحدية:

- من الواضح أنك لا تدركين شعبية (نادر شريف)، ومدى تعلُّق الجماهير به، ولو تم اتهامه بتهمة كهذه، سيثور جمهوره، ويغضب الملايين، الذين يعقدون آمالاً عريضة عليه، فى المباراة الدولية، وهذا سيعنى بلبلة أمنية، وربما موجة عنف، نعجز عن السيطرة عليها.

تساءلت فى اهتمام:

- حتى لو كان الاتهام مدعوماً بأدلة علمية؟!

قال، وصرامته تحمل نبرة وعيد هذه المرة:

- ما أمامنا حتى الآن مجرد قول صحفية (معارضة).

مرة أخرى، ضغط حروف الكلمة الأخيرة؛ ليكرِّر رسالته الخفية، ثم شدَّ قامته، وقال فى غلظة قاسية:

- لذا، لابد من حسم القضية... الآن.

قالت فى حنق:

- لماذا الآن؟!.. ولماذا أنا؟!

أجابه باللهجة نفسها:

- لأن البلاد لا تحتمل حالة بلبلة أمنية إضافية، بسبب جنون مشجعى الكرة، أو هوس عشق نجومها، ولأن المباراة الدولية بعد يومين فحسب، ستحدِّد مكانة مصر الرياضية عالمياً، ولن نجازف بخسارتها، بسبب ادعاءات صحفية معارضة.

بدت لهجتها صارمة، على الرغم منها، وهى تقول:

- هذا يجيب النصف الأوَّل من سؤالى فحسب.

أطلق زفرة عصبية، جعلت المدير يقول، محاولاً تدارك الموقف:

- لا أحد يمكنه إنكار موهبتك وكفاءتك، و...

قاطعته فى حزم:

- هذا ليس سبباً.

بدا الضيق واضحاً، فى ملامح الوزير وصوته، وهو يقول:

- يبدو أنك قد تركت انطباعاً جيداً، فى نفس بعـض كبار المسئولين، بسبب حالة سابقة، فأوصوا بإسناد هـذه العملية لك.

صمت لحظة، وكأنما انتهى من حديثه، ثم اسـتدرك فى عصبية:

- يبدو أنهم لا يثقون فى سواك.

تساءلت:

- وهل يريدون معرفة الحقيقة، أم..

قاطعها فى صرامة:

- أمن الدولة يأتى فوق أى اعتبار.

لم تفهم ما تعنيه عبارة الـوزير بالـضبط، فـالتقى حاجباها مرة أخرى، وهى تقول فى حسم:

- فليكن.. أريد فحص الضحية أوّلاً.

بدا من الواضح أن المصطلح لم يرق للوزير، الـذى التفت إلى رجل أمن مصاحب له، وقال:

- أحضر المدعية.

غاب رجل الأمن لدقائق خمس، بدت للدكتورة (نهير) أشبه بدهر كامل، قبل أن يعود بصحبة الصحفية، التى بدت فى حالة مزرية، وتطلّ من عينيها نظرة انكسار عجيبة، ورجل الأمن يمسك ذراعها فى قوة، كما لو كانت المتهمة، وليست الضحية... وفى خشونة قاسية، سألها الوزير:

- أما زلت تصرين على أقوالك؟!

انكمشت الفتاة على نحو عجيب، وتحوّلت نظرة انكسارها إلى لمحة رعب، كما لو أنها تواجه عقاباً قاسياً مخيفاً، وانعقد لسانها، فلم تنبس بحرف واحد، على الرغم من نظرة الوزير الحادة، فاحتوتها (نهير) بين ذراعيها، وكأنما تحميها منهم، وقالت فى حسم:

- أريد الانفراد بها قليلاً.

قال الوزير فى صرامة:

- فليكن.. سيبقى معك رجل أمن واحد، و...

قاطعته فى حسم أكثر:

- أظن أن الانفراد يعنى وجودهـا منفـردة، أم أن لديكم فى وزارتكم معان لغوية مختلفة.

احتقن وجه الوزير فى غضب واضح، وامتقع وجـه مديرها، واتسعت عيناه فى ارتياع، وتحفَّز رجل الأمن على نحو ملحوظ، إلا أن كل هذا لم يمنعها، من أن تضيف فـى صلابة:

- يمكنكم الانتظار هنا، حتى أنتهى مـن فحـصها.. منفردة.

تعمدَّت الضغط على الكلمة الأخيرة، وكأنما تعلن عدم استعدادها للتراجع عن موقفها، فاحتقن وجه الوزير أكثـر، وقال فى حدة:

- رجل الأمن يمكنه الانتظار، أما أنا، فسأعود إلـى مكتبى فى الوزارة، وسأنتظر حسم الأمر... اليوم.

قالها، ورمقها ورمق مديرها بنظرة نارية، ثم اندفع خارج المكان، فاندفع رجل الأمن خلفه، ثم لم يلبث أن عاد،

ووقف أمام (نهير) فى صرامة، ومديرها يقول بصوت مرتجف:

- أظن أن الأمر لن يحتاج لأكثر من...

قاطعته فى صرامة حاسمة:

- الأمر سيحتاج إلى كل الفحوص الممكنة.. وهذا سيستغرق بعض الوقت.

نطقتها، ورمقت الحارس بنظرة قاسية، ثم اصطحبت الفتاة إلى حجرة الكشف، وما أن انفردت بها هناك، حتى سألتها:

- هل يمكنك إخبارى بالحقائق كلها؟!

تطلَّعت إليها الفتاة فى خوف واضح، فربَّتت عليها، فى محاولة لطمئنتها، وهى تقول فى صوت خافت رقيق، يختلف تماماً عن اللهجة، التى كانت تتحدَّث بها مع الوزير:

- سأكشف الحقيقة فى كل الأحوال، فالأفضل أن أسمعها عن لسانك أنت أوَّلاً.

بدا التردُّد ممتزجاً بـالخوف، فـى ملامـح الفتـاة وعينيها، فمالت (نهير) نحوها، مستدركة فى رقة أكثر:

- وتذكَّرى أننى أقف إلى جوارك.

تلفَّتت الفتاة حولها فى تـوتر، وكأنمـا تخـشى أن يسمعها أحد، وهى تهمس:

- لقد فعلها.

سألتها (نهير) فى اهتمام:

- فعل ماذا؟!

تضرَّج وجه الفتاة بكل حمرة الدنيا، وهى تجيب، فى صوت يكاد لا يُسمع:

- اغتصبنى.. فعلها بكل خسة وحقارة.

سألتها (نهير):

- هل أجبرك على فعلها، أم..

قاطعتها فى عصبية:

- لقد خدَّرنى.. أفقدنى الوعى، ثم فعلها.

بدت قصة تقليدية أكثر مما ينبغى، حتى أن (نهيـــر) عقدت حاجبيها، وتطلَّعت إليها فى شك، جعل الفتاة تواصل فى عصبية:

- ليس عن طريق مشروب أصفر، كما كانوا يقولون فى الأفلام القديمة.. لقد استخدم منديله.. وضعه على أنفى، وكانت تنبعث منه رائحة نفَّاذة، ما أن تسلَّلت عبـــر أنفـــى، حتى شعرت بها تهاجم رأسى، ثم فقدت الوعى.

انهمرت الدموع فى عينيها غزيرة، عند هذه النقطة، وقالت وهى تجهش بالبكاء فى مرارة:

- وعندما استعدت وعيى، بعد دقائق قليلة، كان قد فعلها.

شعرت (نهير) بالغضب والاشمئزاز، وهى تقول:

- بهذا لن تكون هناك علامات أو آثار للمقاومة أو العنف، وستصبح كلمته أمام كلمتك بالفعل.

اتسعت عينا الفتاة فى هلع، وغمغمت:

- هل تعنين أن.. أن..

وقبل أن تكمل عبارتها، فوجئت بها (نهيـر) تعـدو عبر النافذة، وتقفز..

من الطابق الثالث.

* * *

(٢)

* هرج ومرج عنيفين، شملا مصلحة الطب الشرعى كلها، إثر محاولة انتحار الفتاة، ضحية حادث الاغتصاب..

لقد ألقت نفسها، من نافذة الطابق الثالث، وكان من الممكن أن تلقى حتفها، لولا أن سقطت على الغطاء القماشى السميك، لواحدة من سيارات نصف النقل القديمة ووسط دهشة (نهير)، انقضّ رجال الشرطة على الصحفية فى شراسة، وأحاطوا بها فى قسوة، وانهال بعضهم عليها ضرباً فى غضب، والمسكينة تصرخ، فى مزيج من الألم والرعب، والرغبة فى استكمال محاولة الانتحار، التى أفسدها السقوط.. وبكل ما تفجَّر فى نفسها من غضب، صرخت (نهير) فى رجال الشرطة:

- سأثبت كل هذه الاعتداءات فى تقرير رسمى.

عندئذ فقط توقفت الأيدى، التى كانت تنهـال علـى الفتاة من كل صوب، وقال رجل الأمن، الذى تركه الـوزير خلفه، فى حدة شرسة:

- محاولة الانتحار جريمة، يعاقب عليها القانون.

أجابته (نهير) فى صرامة:

- أمور عديدة يعاقب عليها القـانون.. لـو أمكـن إثباتها.

ضمّ رجل الأمن قبضته فى غـضب، وكأنـه يهـم بلكمها، فاستدركت فى عصبية:

- منها الاعتداء على موظف قضائى، أثنـاء تأديـة عمله.

واصل ضم قبضته وحاجبيه لحظة، ثم لم يلبـث أن أرخاهما، وهو يقول فى غلظة:

- سأثبت محاولتها الانتحار فى محضر رسمى.

أجابته فى حدة:

- وأنا سأشهد بأنها كانـت تـستند إلـى مـصراع النافذة، فأفلت لتسقط عفواً.

صاح بها رجل الأمن:

- إنك تعطلين سير العدالة.

صاحت به بدورها:

- وماذا تفعل أنت؟!

تراجع مرة أخرى، وضمَّ شفتيه بضع لحظات، فى محاولة للسيطرة على أعصابه الثائرة، ثم لم يلبث أن قال:

- بعدما حدث، لا يمكننى أن أتركها وحدها معك.

رمقته بنظرة ازدراء، وهى تقول:

- ليس من حقك التواجد فى حجرة الفحص.

هتف:

- وماذا لو فعلتها مرة أخرى؟!

أجابته فى حزم، وهى تلتقط يد الفتاة المنهارة، وتقودها إلى حجرة الفحص:

- سأحرص على إغلاق النافذة جيداً.

كانت الصحفية منهارة تماماً هذه المرة، حتى أنها لم تقاوم الفحص، حتى انتهت (نهير)، بعد ساعة كاملة،

وواجهتها، قائلة:

- كل ما يمكننى إثباته، هو حدوث مواقعة جنـسية، مع قليل من العنف، وسيواصل هو إصراره على أن هذا قد حدث برغبتك، وما دمت غير قاصر، وغير متزوِّجـة، فـلا يمكننا توجيه الاتهام إليه، إلا لو أثبتنا حدوث القهر وانعدام الإرادة، بأية وسيلة كانت.

غمغمت الصحفية فى يأس:

- لن يوجِّه إليه أحد اتهاماً.. إنه نجم نجـوم كـرة القدم، والمباراة الدولية على الأبواب.

قالت (نهير) فى عصبية:

- المفترض أن الجميع متساوون أمام القانون.

أطلقت الصحفية ضحكة عصبية، وهى تقول:

- هل تصدقين هذا فعلياً؟!.. ألم تستوعبى شيئاً من الموقف كله؟!.. كم مرة خرج وزير من مكتبه، وتابع قضية بنفسه.

غمغمت (نهير)، وهى غير مقتنعة بما ستقول:

- ربما يخشى رد فعل مجانين كرة القدم.

لوَّحت الصحفية بيدها، قائلة:

- كرة القدم لعبة لها سحر خاص فى مصر، وجماهيرها مهووسون بها بالفعل، ولهذا لن يتم اتهام (نادر شريف).. ربما يتخذون بعض الإجراءات؛ لإجبارى على التنازل عن الاتهام، وسيعتبرون أنهم يفعلون هذا من أجل (مصر).

قالت (نهير) فى حدة:

- ومن قال: إن (مصر) يمكن أن تقبل بهذا؟!

أجابتها الفتاة فى مرارة:

- (مصر) بريئة من كل ما ينسبونه إليها، ولكنهم يستخدمون اسمها دوماً؛ لتبرير كل تجاوزاتهم، فمن ينتقدهم، أو يكشف فسادهم، يسئ إلى سمعة (مصر)، ولو أعلنت حقائق تعرى تجاوزاتهم، فأنت تهينين (مصر)، وإذا ما أعلنت جهة أجنبية ديكتاتوريتهم واستبدادهم، فهى

محاولة للتدخُّل فى شئون (مصر).. دوماً يريدون إقناعنا أنهم هم (مصر)، وكأننا نحن الشعب لسنا جزءاً منها.

نطقت عبارتها الأخيرة فى حدة شديدة، ثم راحت تسعل فى شدة، فربتت عليها (نهير)، قبل أن تنتبه فجأة إلى نقطة، جعلتها تقول فى انفعال:

- أريد فحص جهازك التنفسى.

امتقع وجه الفتاة، وغمغمت فى ارتياع:

- لماذا؟!.. إنه لم يجبرنى على...

قاطعتها فى حزم:

- وفقاً لأقوالك، لقد وضع منديله على أنفك، وشممت رائحة نفَّاذة، فقدت بعدها الوعى، وهذا يرجِّح استخدامه لسائل أثير ثنائى، أو داى إيثايل إثير.. ولو أنه فعل، فسيترك هذا أثراً فى جهازك التنفسى.

غمغمت الفتاة، فى امتقاع أكثر:

- حقاً.

سألتها (نهير) فى حزم:

- هل ستخضعين لهذا الفحص؟!

تردَّدت الفتاة لحظة، ثم قالت فى يأس:

- نعم.. على الرغم من ثقتى فى أنهم لن يتهموه.

التقى حاجبا (نهير)، وهى تقول فى حزم:

- سنرى.

وبدأت الفحص الجديد..

* * *

شحب وجه مدير مصلحة الطب الشرعى فى شدة، وهو يطالع تقرير (نهير)، وخفض صوته، على الرغم منه، وهو يقول فى عصبية:

- هذا الأمر لا يحتمل العناد يا دكتورة.

أجابته (نهير) فى حزم:

- بالتأكيد، ولهذا فقد قمت بعمل كما ينبغى، وفحصت الضحية جيداً، ولدى ما يثبت أنها قد تعرَّضت

للتخدير بالفعل، بوساطة ثنائى إثيلات الإثير، ممـا يـرجح صحة قصتها.

هتف بها، محافظاً على صوته الخافت:

- أنت قلتها.. يرجّح فحسب، ولا يحسم.. هـذا مـا ينبغى أن يتضمنه تقريرنا الرسمى.

قالت فى صرامة:

- تقريرنا لا يمكن أن يكتمل، إلا بفحـص المـتهم أيضاً.

امتقع وجهه فى شدة، وهو يهتف:

- (نادر شريف)؟!.. مستحيل!

قالت فى حدة:

- ولماذا مستحيل!.. هناك وسائل يمكـن أن تثبـت تورّطه فى الأمر من عدمه.

صاح فى حدة:

- ماذا أصابك يا دكتورة؟!.. ألم تستوعبى الموقـف بعد.. الوزير بنفسه أتى إلى هنا.. ألا يعنى لك هذا شيئاً.

أجابته فى حدة مماثلة:

- يعنى أنهم يحاولون التستر على جريمة نجم؛ للفوز بالمباراة فحسب.

عاد يخفض صوته فى ارتياع، وهو يقول:

- بل يحاولون منع كارثة.. (نادر شريف) نجم نجوم الكرة فى (مصر)، وله ملايين العشاق والمعجبين، من المهووسين بفنه وحرفيته، وسيفتكون بكل من يحاول المساس به.

بدت أكثر غضباً، وهى تقول:

- وهل يمنحه هذا الحق فى اغتصاب بنات (مصر)؟!.. هل يمنحه الحق فى اغتصاب ابنتك مثلاً؟!

تحوَّل ارتياعه إلى نظرة رعب عنيفة، أطلَّت فى عينيه، قبل أن يقول فى بؤس منكسر:

- هل تدركين معنى مجئ الوزير شخصياً إلى هنا.. إننى أعمل فى المصلحة منذ ثلاثين عاماً، ولم يحدث هذا

ولو مرة واحدة.. إنها رسالة غير معلنة.. رسالة تخـدرنا من تعقيد الموقف.. وزير سيادى يطلب منا إغلاق القضية.

قالت فى إصرار:

- والخالق عزّ وجلّ يطلب منا إحقاق الحق.

هزّ رأسه فى قوة، قائلاً:

- الخالق غفور رحيم، أما هؤلاء، فهم لا يعرفـون الرحمة أو الشفقة.. إنهم يلقـون المئـات فـى الـسجون والمعتقلات، ويخضعونهم لأبشع أنواع التعذيب والتنكيـل، دون أن يطرف لهم جفن.

هتفت محنقة:

- وماذا سيفعلون فى الآخرة، عندما يقفون عـراة حفاة، أمام رب عادل عظيم، منتقم جبار.

لوّح بيده، يدعوها لخفض صـوتها، وهـو يقـول مرتجفاً:

- وهل تعتقـدين أنهـم يـدركون مـا سيـصيبهم عندئذ؟!.. إنهم فى غيهم وجبـروتهم، يتـصورون أنهـم

سيذهبون إلى الآخرة فى مواكب رسمية، مع حرس ورجال أمن.. الظلم والقسوة أغشيا بصيرتهم، فنسوا أن الحساب قادم لا ريب.. بل إنهم حتى يتصورون أن سلطاتهم فى الدنيا، ستضمن لهم دخول الجنة فى الآخرة. ...

قالت، فى صرامة:

- لو أنهم حمقى فلست كذلك.. سأطلب فحص (نادر شريف)، ولو رفضوا، سأبلغ كل الصحف ووكالات الأنباء العربية والأجنبية بالأمر.

هزَّ رأسه فى عنف، قائلاً:

- ومن سيسمح لك بهذا.. ربما يقتلونك بلا تردُّد، لو لاح منك هذا.. وحتى لو أفلحت، فهل تتصورين أنهم يخشون الفضيحة؟!.. إنهم مفضوحون، إلى درجة تدفعهم إلى تجاهل أى خزى جديد.. لقد خلعوا قناع الحياء، ولم يعد يعنيهم حتى انكشاف فسادهم، فلا أحد يحاسبهم عليه.

قالت فى حدة:

- أنا سأفعل.

زفر فى يأس، وهزَّ رأسه مرة أخرى، ثم قال:

- فليكن.. سأنقل إليهم مطلبك.. ولكننى سأؤكِّد أنـــه رأيك وحدك.

شدت قامتها، وقالت فى حزم:

- سأتحمَّل المسئولية كلها.

مطَّ شفتيه، والتقط سمَّاعة الهاتف، وهو يغمغم فـــى عصبية:

- سأتركك تتحملينها إذن.

أدهشه كثيـــراً موقفهـــا، وأدهـــشه أكثـــر رد فعـــل المسئولين إزائه؛ فقد استجابوا لمطلبها، وإن قال الوزير فى صرامة:

- سترى بنفسها رد فعل مطلبها.

ولقد انتقلت الدهشة كلها إلى (نهير)، مـــع وصـــول (نادر) إلى المصلحة..

لم يصل وحده، وإنما جاء بصحبة جيش ضخم..

جيش من رجال الأمن، ومصورو ومحررو الصحف، بالإضافة إلى آلاف المواطنين، الذين ما أن لمحوه، حتى التفوا حول المكان، وراحوا يهتفون باسمه، بل وتمادى بعضهم، ورفع علم (مصر) من أجله..

وبهذا التأييد غير المسبوق، صعد إليها (نادر) مع مدرِّبه، الذى قال فى صرامة متغطرسة، فور دخولهما:

– لقد جئنا فقط ليثبت (نادر) براءته، من هذا الاتهام الحقير، ونريد إنهاء كل شئ فى سرعة.. لدينا تدريبات، من أجل المباراة الدولية.

ولم تسمع (نهير) نصف ما قاله..

فمنذ وقعت عيناها على (نادر)، أدركت أن الفتاة صادقة فيما روته.. وبدليل علمى.. بحت.

* * *

(٣)

منذ إنشاء مصلحة الطب الشرعى فى (مصر)، وعلى الرغم من آلاف القضايا، ذات الحساسية والجماهيرية، التى تم حسمها عبرها، لم تحظ قضية واحدة بمثل هـذا الحـشد الأمنى والإعلامى، الذى حاصر المبنى، وعلى الـرغم مـن انتقال (نادر شريف) إلى مكتب الدكتورة (نهير)، مع عـدد محدود من مسئولى المصلحة، ومدرب فريقه، ورجل الأمن الذى تركه الوزير خلفه، وضابط شرطة برتبة عميد، إلا أن مصابيح التصوير لم تتوقَّف عن السطوع لحظـة واحـدة، على نحو متصل، مما أورث نجم الكرة مزيداً مـن الثقـة، وجعله ينظر إلى الصحفية فى استهتار، قائلاً:

- أما زالت تصرّ على روايتها السخيفة؟!

هتفت به الصحفية فى مقت:

- أيها الفاجر الوقح.

لوَّح المدرِّب بسبَّابته فى وجهه متوعداً، وهو يقـول فى صرامة:

– هل سمعتم؟! لقد سبته هذه جريمة يعاقب عليها القانون، وكلكم شهود عليها.

ابتسم (نادر) فى غرور، وهو يقترب من مدرِّبه، وكأنما ينشد عنده الحماية اللازمة، مما استفز (نهير)، وجعلها تقول فى صرامة:

– يبدو أنكم نسيتم جميعاً أن نجم الكرة هنا، باعتباره متهماً.

أشار (نادر) بيده، قائلاً بنفس الاستهتار:

– قولها مقابل قولى.

قالت (نهير) فى سرعة، وكأنها كانت تنتظر قوله هذا:

– إذن فأنت تعترف بمواقعتها!

هزَّ كتفيه فى لا مبالاة، وقال:

– لم أنكر هذا قط.

ثم أشار إلى الصحفية، مستطرداً فى فساده:

– ولكننى فعلته بموافقتها.

احتقن وجه الفتاة، واندفعت نحوه غاضبة، وهى تهتف:

- أيها الـ....

اعترض رجل الشرطة طريقها فى صرامة، وهو يقول:

- هل ستسبينه مرة أخرى؟!

احتقن وجه الفتاة أكثر، وبدا وكأنها توشك على الانفجار، فاحتوتها (نهير) فى رفق، وهى تغمغم:

- رويدك يا بنيتى.. من الواضح أن كل شئ مختل فى هذه القضية، كما هو الحال فى بلدنا كله.

قال رجل الأمن مزمجراً:

- أنت تتجاوزين صلاحيات وظيفتك.

أجابته فى حدة:

- وماذا عنكم؟!.. ألا تتجاوزون حدود آدميتكم نفسها.

قال فى غلظة شرسة:

- لا تعارض بين الواجب والضمير.

قالت محنقة:

- هذا ما كنت أتصوَّره، ولكن من الواضح أنهم قد نجحوا فى إعادة تشكيلكم، حتى لم تعودوا تدركون الخيط الفاصل، بين الضمير والطاعة العمياء.

بدا رجل الأمن متحفزاً، وهو يقول:

- نريد تقريراً رسمياً، وليس حواراً سفسطائياً.

امتقع وجه مديرها، وهو يقول فى توتر:

- إنهم على حق يا دكتورة.. لسنا هنا لانتقاد سياسة الدولة.. سنؤدى عملنا فحسب.

ثم استدار، وكأنما يوجِّه حديثه إلى (نادر شريف) ورجل الأمن، مستطرداً:

- ووفقاً لمعلوماتى، من المستحيل، فى مثل هذه الحالات، إثبات حدوث الاغتصاب، بدون علامات مقاومة، أو...

قاطعته (نهير) فى حزم:

- فى حالات التخدير لا تكون هناك أية آثار.

اندفع (نادر) يقول فى سخرية:

- وفى حالات الكذب والتلفيق أيضاً.

أجابته متحدية:

- الضحية تقول: إنها تعرَّضت للتخدير، وجهازها التنفسى ما زال يحوى آثار داى إيثايل إثير بالفعل، وهو مخدِّر معروف.

عاد يهزّ كتفيه فى استهتار، قائلاً:

- ربما استنشقته بإرادتها؛ لتحكم خدعتها.

أشار المدرِّب بيده، وهو يقول فى صرامة:

- وهذا ما سيتضمنه دفاعنا الرسمى.

كان من الواضح أنهم قد استعدوا لكل النقاط، ولكن (نهير) شدَّت قامتها، وقالت صارمة:

- ليس بعد أن أقدم تقريرى الرسمى.

تبادل الكل نظرة متوترة، قبل أن يقول المدرِّب، فى لهجة بطيئة متوعدة:

- أظن سيادة الوزير جاء بنفسه، و...

قاطعته (نهير)، وكأنها لم تسمعه:

- أريد فحص نجم الكرة جيداً.

بدت حركة متحفزة من (نادر)، ولكن المدرِّب وضع ذراعه أمامه، وكأنما يمنعه من الهجوم، وهو يقول:

- ونحن نرفض هذا.

أجابته (نهير) فى سرعة لم يتوقعها، وهى تلتقط هاتفها المحمول:

- فليكن.

اندفعت يد رجل الأمن تستوقفها، وهو يقول فى شراسة:

- ماذا ستفعلين؟!

أجابته فى حدة:

- سأبلغ رجال الصحافة أن النجم رفض إجراء الفحص، وأترك لهم تفسير الموقف.

انتزع رجل الأمن الهاتف من يدها فى غلظة، وهو يقول:

- قلت لك: إنك تتجاوزين حدود مهنتك.

قالت متحدية:

- وماذا ستفعل؟! هل ستعتقلنى؟.. إنك لن تستطيع منعى من نقل الخبر للصحف، بعد انتهاء ساعات عملى.

قال المدرِّب فى شراسة:

- نستطيع استصدار أمر من النائب العام، بحظر النشر والتداول.

عقدت ساعديها أمام صدرها، قائلة:

- عظيم.. هذا سيثير موجة أعنف من التخمينات.

مرة أخرى، تبادلوا نظرات صامتة عصبية، ثم قال المدير فى شحوب:

- على أية حال، سأترككم تتخذون إجراءاتكم الرسمية وحدكم.. هذا أفضل.

واندفع خارجاً، مع باقى رجال المصلحة، وبقى مساعدها (عزت) وحده، فالتفتت إليه، قائلة:

- والآن، سنفحص يد النجم، بحثاً عن آثار داى إيثايل إثير.

ضم (نادر) قبضته بحركة عصبية، والتفت إلى مدرِّبه بنظرة هلع، بدت أشبه باعتراف رسمي، فانزوى حاجبا المدرِّب، وقال:

- لا بأس.. سيخضع لهذا الفحص.

هتف (نادر)، فى لهجة تحمل لمحة ذعر:

- ولكن..

قاطعه المدرِّب فى حزم:

- اطمئن.

لم تعلِّق (نهير) على ذلك الحوار المقتضب القصير، فقد كانت واثقة من أن المدرِّب قد استخدم أحد المنظفات القوية، لإزالة الرائحة، وآثار المادة من يد لاعبه الأوَّل، وهذا سبب ثقته الشديدة فى عدم جدوى الفحص.

وعلى الرغم من معرفتها هذا، وثقتها فى حدوثه، فقد حافظت على ملامحها هادئة عادية، وهى تقول للنجم:

- هل يمكنك أن تخلع هذه السترة الرياضية؟!

سألها متحفزاً:

- ولماذا أفعل؟!.. قلت: إنك ستفحصين يدى فحسب!

أجابته فى بساطة:

- أريد التأكُّد من عدم وجود آثار مقاومة بجسدك.

ابتسم المدرِّب فى ثقة، وأشار إليه بطاعة أمرها، فخلع (نادر) سترته الرياضية، وألقاها إلى (عزت)، ثم شد قامته، وكأنما يستعرض عضلاته البارزة، وتطلَّع إلى الصحفية بنظرة متحدية، جعلت المسكينة تنكمش فى ارتياع، فى حين انحنت (نهير)، تهمس فى أذن (عزت) بكلمات لم يسمعها أحد، فقال المدرِّب فى غضب:

- روح التآمر هذه مرفوضة.

بدت هادئة باردة، وهى تجيبه:

- إنها أمور وتفاصيل خاصة بالعمل.

قالتها، وراحت تفحص جسد (نادر) ويديه، وهو يقول فى غرور واضح، واستهتار زائد:

- لو أنك تتصوَّرين أنه باستطاعتك اتهامى، فأنت واهمة.. المباراة الدولية بعد يومين فحسب، ولا يمكنهم المجازفة بإبعادى عنها.. أنا هدَّاف الفريق الأوَّل، ولقد أحرزت وحدى ثلاثة أهداف، فى آخر مباراة دولية لعبتها.

ابتسمت (نهير) دون تعليق، وواصلت فحصها لدقيقة أخرى، قبل أن يقول (عزت)، وهو يلوِّح بالسترة الرياضية:

- إيجابى.

قال المدرِّب فى عصبية، وهو ينقل بصره بينهما:

- ما هذا بالضبط؟!

اعتدلت فى ثقة وارتياح، قائلة:

- فحص آخر بسيط، قام به مساعدى الرسمى، فى الوقت الذى انشغلتم فيه بما أفعله أنا.

هتف المدرِّب فى غضب:

- هذه مؤامرة.. أنت شاهد يا رجل الأمن.

تجاهلته (نهير) تماماً، وهى تقول:

- صحيح أن مركبات الإثير مخدِّر قوى، ولكنها فى الوقت ذاته مذيب عضوى فعَّال، ومنذ اللحظة الأولى، التى دخل فيها (نادر شريف) مكتبى، لاحظت أن أسورة سترته الرياضية، المصنوعة من ألياف صناعية، متآكلة فى طرفها، وكأنها قد تعرضَّت لمذيب عضوى، ولقد قام مساعدى بفحصها، واختبارها بمواد تفاعلية، أثبتت أن الذوبان ناشئ عن تلامس مع داى إيثايل إثير ، مما يثبت

أن النجم قد استخدم المخدِّر بالفعل، ولو أضفنا إلـى هـذا تقرير فحص الجهاز التنفسى للصحفية، ورواياتها، وإثبات حدوث المواقعة، التى اعترف بها نجمكم، فـ...

قاطعها (نادر)، فى ارتياح عصبى:

- لا.. لا يمكنك اتهامى.

أجابته فى حزم:

- ولكننى فعلت بالفعل.. لم أتهمك فحسب، ولكننـى سأوقِّع تقريراً رسمياً، مع كل الأدلة العلمية، التـى تثبـت اعتدائك على الصحفية.

استدار فى ارتياع إلى مدرِّبه، وهو يهتف:

- لا يمكن أن يحدث هذا.

التقى حاجبا المدرِّب، وهو يقول فى عصبية:

- هل ستتحملين مسئولية هذا الاتهام، أمام جـيش الصحفيين والإعلاميين، ومشجعى الكرة فى الخارج؟!

أجابته فى حزم:

- دون أدنى شك، فهذا أهون من تحمـل مـسئولية التدليس، أمام الخالق عزَّ وجلَّ.

هتف رجل الأمن:

- آه.. أنت تنتمين إلى التيار الإسلامى.

عقدت ساعديها، وهى تقول فى سخرية عصبية:

- أظن هذا لم يعد اتهاماً، منذ دخلت (قريش) الإسلام.

صرخ رجل الأمن:

- أرأيت؟!

أجابته فى حدة:

- من حسن حظى أن رأيت، ولست مصابة بالعمى الدنيوى مثلكم.. إنكم لا تدركون جميعاً فداحة وحقارة ما تقدمون عليه.. مهما كانت نجومية هذا الشاب، ومهما كان عدد الأهداف التى سيحرزها، فى أى مرمى كان، فقد أقدم على ارتكاب جريمة بشعة شنعاء، ليس فى حق المجتمع فحسب، ولكن فى حق دينه وآدميته أيضاً.. كلكم تحاولون إبعاد التهمة عنه؛ لأن أحدكم لم يتخيَّل العذاب والهوان والعار، الذى لحق بالضحية المسكينة.. أغلقوا عيونكم وحاولوا تخيله.. أغلقوا عيونكم، وسلوا أنفسكم.. ماذا لو أنها ابنتكم، أو شقيقتكم، أو حتى أمكم.

امتقعت وجوههم جميعاً، مع هول الفكـرة، وهتـف (نادر) فى عصبية شديدة:

- لا تستمعوا إليها.. لا تسمحوا لها بخداعكم.

أجابه المدرِّب فى خشونة:

- اصمت.

أما رجل الأمن، فقد انزوى جانباً، وأخـرج جهـاز الاتصال اللاسلكى، وهمس عبره ببضع كلمات، ثم اتجه نحو عميد الشرطة، وتبادل معه حديثاً هامساً، فهزَّ هذا الأخيـر رأسه، والتقط زوجاً من القيود الحديدية من حزامه، فتراجع (نادر)، هاتفاً:

- لا.. لا يمكنكم أن تفعلوا هذا.

ولكنهم فعلوه..

ومرة أخرى، سطعت مصابيح التصوير فـى قـوة، وهى تلتقط صور (نادر شريف)، نجم النجوم، وهو يغـادر مصلحة الطب الشرعى، مقيداً بالكلابشات الحديدية..

وعلى عكس ماتوقّع الكل، أصيب الجميـع بوجـوم ذاهل، أمام المشهد، فلم ينبس مخلوق واحد ببنت شفة ..

ولكن (نهير) لم تشعر بالارتياح، ربما لأنهم اصطحبوا الفتاة أيضاً، مقيّدة بالكلبشات..

وفى اليوم التالى، نشرت صحف المعارضة الصور، مع خبر اتهام (نادر شريف)، الذى استنكره مشجعوه بشدة، فى حين حملت صحف الحكومة فقط خبر زواجه فى مبنى الوزارة السيادية، من صحفية معارضة، بدت فى صور زواجها كمن ينفذ حكماً بالسجن..

وفى موعدها، أقيمت المباراة الدولية، وأحرز فيها نجم النجوم هدفين بارعين..

وربحت (مصر) المباراة..

وخسرت الكثير.. والكثير جداً.

* * *

(تمت بحمد الله)

جريمـــة وزيـــر

جريمـــة وزيـــر

(١)

* "مكتب خاص، فى رياسة الجمهورية؟!.."..

هتف (عزت)، مساعد الدكتورة (نهيـــر)، الطبيبـــة الشرعية، وإخصائية مسرح الجريمة بالعبارة، فى دهـــشة، أقل ما يقال عنها أنها مذعورة، وهو يحدِّق فى وجه هـــذه الأخيرة فى ارتياع عجيب، أجبرها على أن تبتـــسم، وهـــى تقول:

- نعم.. هو مـــا ســـمعته بالـــضبط.. لقـــد تلقيـــت الاستدعاء، منذ ساعة واحدة، والمفترض أن نتسلَّم عملنا، بعد ساعة واحدة أخرى.

اتسعت عيناه فى هلع، وهو يهتف:

نتسلَّم؟!.. من تعنين بصيغة الجمع، فـــى عبارتـــك هذه؟!.

مالت نحوه، مجيبة، وابتسامتها تتسع:

- لقد اخترتك، مساعداً دائماً لى هناك.

تضاعف اتساع عينيه، وجفَّ حلقه، وهو يقول:

- فى القصر الجمهورى؟!

أومأت برأسها إيجاباً، فامتقع وجهه بشدة، وبدا وكأن ساقيه تعجزان عن حمله، وهو يبحث عن مقعد قريب، بأيد مرتجفة، فأسرعت تجذب مقعداً، وتدفعه نحوه، ليلتقطه، ويلقى جسده عليه، وهو يلهث، قائلاً، فى صوت أقرب إلى البكاء:

- لماذا يا دكتورة؟!.. لماذا وضعتنى فى هذا الموقف؟!

قالت فى دهشة:

- أى موقف؟!.. كنت أتصوَّر أن هذا سيسعدك!.. انتدابنا للعمل فى القصر الجمهورى، يعنى بدلات أكثر، و...

قاطعها فى عصبية:

- وحذر أكثر، وتوتر أكثر، وأمن، وحراسة، وتصاريح خاصة، وتحركات محسوبة.. لا.. إننى أفضّل وظيفتى الحالية.

شعرت بقلق حقيقى، وهو تقول:

- هل تعنى حقاً أنك تفضّل أن..

قبل أن تطرح سؤالها بالكامل، فوجئ الاثنان بمدير المصلحة يقتحم معملهما، دون أن يطرق الباب كعادته، وهو يقول فى عصبية، ليس لها ما يبرِّرها:

- أين أنت يا دكتورة (نهير).. سيارة رياسة الجمهورية تنتظركما بالخارج، ولقد أرسلوا أحد رجال الأمن الخاص لاصطحابكما.

عادت عينا (عزت) تتسعان، ووجهه يمتقع، وهو يرتجف، قائلاً:

- أرأيت؟!

نقلت (نهير) بصرها، بينه وبين المدير، قبل أن تقول لهذا الأخير، فى شئ من العصبية:

- ولماذا العجلة؟!.. المفترض أن..

قاطعها صوت حازم قاس، يقول فى صرامة:

- المفترض أن ننصرف معاً، فى أسرع وقت ممكن.

التفتت إلى مصدر الصوت بحركة حـــادة، فـــارتطم بصرها برجل أمن طويل القامة، عريض المنكبـــين، حـــاد النظرات، استطرد بنفس الصرامة، وهو يعقد كفيـــه خلـــف ظهره:

- مكتب فخامة الرئيس فى انتظارنا.. فوراً.

التقى حاجبا (نهير) فى توتر، وهى تتساءل:

- ولماذا فوراً؟!.. المفترض أنه مكتب دائم!

لم يجب رجل الأمن تساؤلها، ولكن الجواب جاءها، عندما واجهت الموقف الفعلى، الذى تم انتدابها من أجلـــه، للعمل فى القصر الجمهورى..

ففى إحدى الوزارات، حدثت جريمة قتل!..

المسئول المـــالى للـــوزارة، أطلقـــت علـــى رأســـه رصاصة..

فى مكتب الوزير..

إلى هنا، والجريمة، على الرغم من غرابتها، ممكنة الحدوث، لولا أمر واحد..

أن المتهم بالقتل هنا هو الوزير..

شخصياً..

وعلى الرغم مما يمكن أن يثيره هذا، من دهشة واستنكار، ومما أصاب (عزت) من عصبية ظاهرة، بدت (نهير) متمالكة جأشها تماماً، وهى تقول لرئيس الديوان، الذى شرح لها الموقف:

- قبل فحص مسرح الجريمة، أريد معرفة ملابسات الحادث بالضبط.

كان من الواضح أن رئيس الديوان شديد التوتر، وهو يقول:

- روى شهود الحادث أن المسئول المالى للوزارة بدا شديد العصبية هذا الصباح، وطلب مقابلة الوزير، قبل أن يبدأ برنامجه اليومى، أو يطالع بريده، على عكس المألوف، وكان يلوِّح بملف فى يده، أشار إلى أنه سيقلب الدنيا كلها رأساً على عقب، وعندما سمح له الوزير بالمقابلة، اصطحبه مدير المكتب إلى حجرة الوزير، وسمع

الجالسون فى الخارج نقاشاً حاداً، أعقبـــه دوى رصاصـــة، فاندفعوا إلى الحجرة، ليجدوا المسئول المالى غارقـــاً فـــى دمه، والوزير خلف مكتبه، وإلى جواره مدير مكتبه، يمسك مسدساً، يتصاعد الدخان من فوهته.

غمغم (عزت) فى عصبية:

- أظن الأمر يبدو واضحاً، و...

قاطعته (نهير) بإشارة صارمة من يدها، وهى تقول فى حزم:

- الأفضل ألا تتسرَّع بآراء مبكرة، قبل معرفة كافة التفاصيل والملابسات.

أشار إليها رئيس الديوان، قائلاً:

- بالضبط.. فالمـــشكلة أن مـــدير المكتـــب ألقـــى المسدس من يده، فور دخول رجال الأمن والزائرين لحجرة الوزير، وهتف يتهم الوزير نفسه بقتل المـــسئول المـــالى، وأشار إلى أوراق تلتهمها النيران، فى سلة المهملات، وأكَّد أنها ذلك الملف، الذى كان يحمله المسئول المالى، والـــذى

كان يحوى ما يثبت فساد الوزير، وتقاضيه ملايين الجنيهات، على سبيل الرشوة.

التقى حاجبا (نهير) أكثر، وهى تغمغم:

- والمسدس يمتلكه الوزير بالطبع.

ارتفع حاجبا رئيس الديوان، وهو يهتف فى دهشة مبهورة:

- كيف استنتجت هذا؟!

هزَّت كتفيها، قائلة:

- تتابع الأحداث المنطقى أوحى به.

أومأ برأسه موافقاً، وقال:

- الوزير أنكر التهمة بالطبع، وقال: إن المسدس كان على سطح مكتبه، وأن المسئول المالى اتهم مدير مكتبه، وليس هو، بالفساد والرشوة، فاختطف مدير المكتب الملف، وألقاه فى سلة المهملات، وأشعل فيه النار، وهنا اشتبك معه المسئول المالى، محاولاً إنقاذ الملف، فاختطف المسدس، وأطلق النار على رأسه، وأرداه قتيلاً.

بدا الشك على ملامح (عزت)، ونقل بصره فى عصبية، بين (نهير) ورئيس الديوان، فقالت الأولى، دون أن تشى ملامحها، بما يدور فى ذهنها.

- وهل اعتاد الوزير وضع مسدسه على سطح مكتبه؟!

تردَّد رئيس الديوان لحظة، قبل أن يجيب:

- يقول: إنه يقوم بتنظيفه مرة أسبوعياً، ولقد تصادف الموعد مع الواقعة، ومدير مكتبه، على الرغم مما يتهمه به، يؤيِّد هذا، ولكنه يصرّ على أن الاتهام كان موجهاً إلى الوزير شخصياً، وأنه الذى اختطف الملف، وأشعل فيه النار، وأطلق الرصاص على المسئول المالى، عندما حاول منع هذا، ثم ألقى إليه المسدس، فالتقطه بحركة غريزية، لحظة اقتحام الآخرين للمكان، ليروه وهو يحمله، والدخان يتصاعد من فوهته.

تنهَّدت (نهير)، وهى تدير القصتين فى رأسها، وتحاول أن تستنبط منهما حقيقة ما حدث..

فمهنتها علمتها أنه من السابق لأوانه استبعاد أى حدث، باعتباره غير منطقى..

كل شئ يمكن حدوثه، لو توافرت الظروف المناسبة..

كل شئ..

وكل شخص يمكن اتهامه، مهما بلغ منصبه، أو موقعه، أو جاهه..

فليست كل جريمة وليدة تخطيط وتدبير وإعداد وتربُّص..

معظم الجرائم وليدة اللحظة..

العاطفة..

الانفعال..

أو الغضب..

والروايتان ممكنتا الحدوث..

الوزير قد يفقد أعصابه، ويقتل المسئول المالى، الذى كشف فساده بالأوراق والمستندات، وهدَّد مستقبله

السياسى كله، وعرَّضه للانتقال، فى لحظة واحدة، من ذوى الجاه والسلطة، إلى خانة الأفاقين واللصوص..

ومدير المكتب قد يفعلها، عندما ينكشف أمره فجـــأة أمام الوزير، ويواجه مصيراً لا يدريه..

كلاهما لديه الدافع.. والفرصة، والسلاح..

"لابد إذن من معاينة مسرح الجريمة.."...

نطقتها (نهير) فى حزم، فوافقهـــا رئـــيس الـــديوان بإيماءة من رأسه، وهو يقول:

- هذا ما أمر به فخامـــة الـــرئيس، الـــذى منحـــك صلاحيات كاملة، للتعامل مع الموقف، وسأصطحبك بنفسى إلى الوزارة، حيث ينتظروننا جميعاً.

مرة أخرى، امتقع وجه (عـــزت)، وانكمـــش علـــى نفسه، وهو يسير خلفها، ويجلس إلى جوارها صامتاً، فـــى سيارة الرياسة، التى تنقلهما مع معـــداتهما إلـــى القـــصر

الجمهورى، وعندما شعرت (نهير) بارتجافته، مالت نحوه، تسأله هامسة:

- ماذا بك؟!

أجابها فى همس مضطرب:

- لماذا تصرين على إغراقنا فى ذلك المستنقع أكثر وأكثر؟!

هتفت مندهشة، فى صوت خافت:

- إغراقنا؟!.. أنسيت أنه عملنا، وأنهم قد انتدبونا هنا، و...

قاطعها فى عصبية هامسة:

- وسنكشف اللغز.. أنا واثق من هذا.

تراجعت فى دهشة أكثر، فاستدرك:

- وهذا ما يخيفنى.

غمغمت:

- يخيفك.

هتـــف:

- بالتأكيد.. هل تتصوَّرين أنه من السهل، فى مثـــل هذا النظام، أن نكشف فساد وزير؟!

قالت فى صرامة هامسة:

- لست أتحدَّث هنا عن فساد، وإنما عن جريمة قتل.

هزَّ رأسه فى عنف:

- الاثنان يتساويان عند الحكومة؛ فالوزراء آلهـــة، فى نظرها ونظر العامة، والآلهة لا تخطئ.. ولا تعاقب أيضاً لو أخطأت.. والحكومة لن تسمح للناس بمعرفـــة أخطـــاء وزرائها، بدءاً من أصغر خطأ، وحتى أكبر جريمة.

قالت فى حدة:

- حتى القتل.

أجابها فى مرارة عصبية هامسة:

- وما الفارق؟!.. هل تتصوَّرين أن ما يفعلونه بنا، عبر قراراتهم الخاطئة، المتسرِّعة، النابعة فى معظمها مـــن انفعالات وقتية، أو أغراض أو منافع شخصية، والتـــى قـــد

تفسد مجتمعاً بأكمله، ليست مساوية للقتل؟!.. من يحاسبهم عليها؟!.. من يلومهم حتى، على قرار واحد سخيف؟!.. راجعى تاريخنا كله، منذ قيام ثورة يوليو، وستدركين أن هذا لم يحدث، ولو مرة واحدة.. هل تتوقعين أن يبدأ بك؟!

انعقد حاجباها، وهى تقول:

- ما أتوقعه، هو أن نؤدى عملنا، ثم نترك الأمر بعدها لله (عزَّ وجلَّ).

هزَّ رأسه فى قوة، وهو يقول:

- لو أننا سنتركه لله (سبحانه وتعالى)، لما خشيت، فالله يحكم بالعدل، ولكننا سنتركه أيضاً للحكومة، وهى ليست كذلك.. إنها تحكم بما يحقِّق مصلحتها، وفى العصر الحالى، لست أظن مصلحتها فى كشف الفساد.

تدخَّل رئيس الديوان، فى هذه اللحظة، وهو يقول فى حدة:

- فيم تتهامسان طوال الوقت؟!

انكمش (عزت) فى مقعده، فى ذعر أكثر، فى حـــين تنحنحت (نهير)، مجيبة:

- فى شئون العمل.

اعتدل يقول فى صرامة:

- أتعشَّم أن تكونوا قد انتهيتم، فها هـــو ذا مبنـــى الوزارة أمامنا.

لم تمض دقائق خمس، على عبارته هذه، حتى كان ثلاثتهم يقفون فى مكتب الوزير، الذى اكتظّ برجال الأمـــن، وموظفى الوزارة، والوزير نفسه، ومـــدير مكتبـــه، وجثـــة المسئول المالى، الذى سقط على ظهره، وثقب واضح فـــى منتصف جبهته، تجمَّدت حوله بقعة من الـــدم، وعلامـــات الدهشة والذعر ما زالت مرتسمة على ملامحه..

وفى صرامة، قالت (نهير):

- هذا العدد كفيل بإفساد أى دليل هنا.

سرت همهمة معترضة من الموجودين، فقال رئيس الديوان بلهجة آمرة:

- فليغادر الكل الحجرة فوراً.

أضافت (نهير) بنفس الصرامة:

- فيما عدا المتهمين.

رفع الوزير رأسه بحركة حادة، وهو يقول:

- المشتبه فيهما.

هزّت كتفيها، دون أن تعدّل عبارتها، فجرجر رجال الأمن أقدامهم، مع موظفى الوزارة، وخرج الكل من الحجرة فى تخاذل، ومع خروج آخرهم، أشارت (نهير) إلى (عزت) بإغلاق الباب، ثم التفتت إلى الوزير ومدير مكتبه، وعقدت ساعديها أمام صدرها، وهى تقول:

- أحدكما يُدرك بالطبع، أن وجود كل هذا العدد من الناس، فى مسرح الجريمة، كفيل بإتلاف وإفساد أى دليل.

قال الوزير فى حدة:

- لاحظى أنك تتحدّثين إلى وزير.

أجابته فى صرامة:

- فى الوقت الحالى، أواجه مشتبهاً فيه، فى جريمة قتل.

هبَّ من مقعده بحركة حادة، هاتفاً:

- أنا أعترض..

ومع حركة الوزير، انعقد حاجبا (نهير) فى شدة..

فهنا فقط، أدركت من القاتل..

وبالدليل.

* * *

(٢)

* لثوان، لم تنبس (نهير) ببنت شفة، وذهنها يرسم صورة لما حدث، فى مكتب الوزير..

كانت لديها قدرة مدهشة، على استنباط المشهد كله، عبر لمحات صغيرة، من مسرح الجريمة..

وفى هذه المرة، لاحظت موقع مقعد الوزير..

وزاوية مكتبه..

وحركة نهوضه..

وفى لحظات، كانت قد رسمت الصورة، والتفتت إلى مدير المكتب، تسأله فى اهتمام:

- كيف ألقى إليك الوزير مسدسه؟!

ارتجف الرجل، من فرط الانفعال، وهو يجيب:

- كنت أقف إلى جواره، عندما انقضَّ عليه المسئول المالى، فاختطف مسدسه من أمامه، وأطلق عليه النار، ثم دار إلى اليمين، وألقى إلىَّ المسدس.

قالت (نـهير) فى بطء:

- والتقطته أنت؟!

أجابها فى توتر:

- كانت حركة غريزية.

هزَّت رأسها، متمتمة:

- بالضبط.

ثم اتجهت فى هدوء إلى المكتب، والتقطت المسدس فى حرص، من فوهته، على الرغم من ارتدائها زوجاً مـــن القفافيز المطاطية الخاصة، وفحصته فى اهتمام، ثم ســـألت (عزت):

- هل قمت برفع البصمات من عليه؟!

أومأ برأسه إيجاباً، وغمغم:

- وقمت بتوثيقها.

قالت فى هدوء عجيب:

- عظيم.

ثم سحبت مشط المسدس، وأفرغت ما تبقى به من رصاصات، فى كيس أدلة خاص، قبل أن تعيده إلى الوزير، قائلة:

- دعنا نعيد تمثيل المشهد.

أجابها الوزير فى عصبية:

- أى مشهد؟!.. إنه كاذب.. أنا لم...

قاطعته فى صرامة:

- سنعيد المشهد من زاوية روايته، ثم من زاوية روايتك أيضاً.

انعقد حاجبا الوزير فى حنق، إلا أنه التقط المسدس، وسألها فى عصبية أكثر:

- وما المفترض أن أفعله بالضبط؟!

جلست على مقعد قريب، فى هدوء شديد، وهى تقول:

- ستصوِّب المسدس نحو النقطة، التى كان يقف عندها المسئول المالى، وتضغط الزناد، ثم تلقى المسدس لمدير مكتبك.

كان من الواضح أن ما طلبته لا يـــروق لـــه أبـــداً، وعلى الرغم من هذا، فقد نفذ المـــشهد، فـــضغط الزنـــاد، وصدرت من المسدس تكة معدنية فارغة، قبـــل أن يلقيـــه لمدير مكتبه، الذى حاول التقاطه، فأمسكه من ماسورته، ثم قلبه ليلتقط مقبضه، قبل أن تهتف (نهير):

- كفى.

تطلَّع الكل إليها فى دهشة، فأشارت إلى ساعة يدها، قائلة:

- هذا تقريباً الوقت الكافى، لـــدخول رجـــال الأمـــن والموظفين إلى هنا.. ومن الواضح أن التقاط المسدس، لم يكن بالسهولة التى وصفتها.

قال مدير المكتب محتجاً:

- فى المرة السابقة، التقطت المسدَّس فى ســـهولة أكثر، ولكنك أزلت الرصاصات، ممـــا غيَّـــر مـــن توازنـــه، فصارت ماسورته أثقل من مقبضه.

غمغم الوزير فى خبث:

- حقـاً؟!.. لـم أكـن أدرك هـذه الحقيقـة عـن المسدسات.

نقلت (نهير) بصرها بينهما، ثم قالت فى حزم:

- فليكن.. ضع المـسدس أمـام السيِّد الـوزير، واعتدل، ثم التقطه، وأطلق النار على الموضع نفسه.

أطاعها مدير المكتب فى عصبية، وتراجـع الـوزير بمقعده، ليمنحه فسحة كافية، فالتقط المسدس، ونفـذ مـا طلبته منه، وقال فى توتر:

- ليس هذا ما حدث بالضبط.

نقلت (نهير) بصرها، بينه وبين الوزير مرة أخرى، ثم قالت فى هدوء، لم يبد متناسباً مع الموقف، حتى بالنسبة لمساعدها (عزت):

- ربما لا تكمن المشكلة فى المسدس.

سألها الوزير فى عصبية:

- ماذا تعنين؟!

هزَّت كتفيها، مجيبة:

- كلاكما كانت لديه الفرصة لإطلاق النار.

تبادل الرجلان نظرة عصبية، قبل أن يقول الـــوزير فى حدة:

- ولكنه هو فعلها.

صاح مدير المكتب فى حدة:

- بل هو.

وهنا، عقد رئيس الديوان كفيه خلف ظهـــره، فـــى صرامة شديدة، وهو يقول للدكتورة (نهير):

- المفترض أنك هنا، لحسم هذا الخلاف.

أومأت برأسها موافقة، وقالت:

- إنه ليس خلافاً هيناً، فبعد أن أفسد اقتحام الجميع للمكان أدلة مسرح الجريمة الأساسية، لم يعد أمامنا ســـوى أقوال كل منهما، والتى تدين الآخر.

قال رئيس الديوان فى حدة:

- ولا يوجد دليل علمى واحد؛ لترَجيح أقوال أحدهما عن الآخر؟!

صمتت بضع لحظات، ثم هزَّت رأسها نفياً، مجيبة:

- كلا.

التقى حاجبا رئيس الديوان فى شدة، وراح يتحـــرَّك فى الحجرة فى عصبية، ويتوَّقف بـــين الفينـــة والأخـــرى، لينظر إلى كل الوجوه، ثم يعاود الحركة، قبل أن يقول:

- فليكن.. لن تحتاج إلى دليل مادى.

سألته (نهير) فى حذر:

- هل ستوجِّه الاتهام لكليهما؟!

أجاب، فى سرعة وصرامة:

- كلا.

وصمت لحظة، ثم استدرك:

- سنوجِّه الاتهام إلى أحدهما فحسب، بناءً على أية أدلة ترجيحية مقنعة.

تطلَّعت فى حذر إلى الوزير ومدير مكتبه، وهى تقول فى بطء:

- ولكن وفقاً للقانون، شيوع الاتهام يبرئهما معاً.

هزَّ رأسه، وهو يقول:

- للأسف.

ثم عاد يعتدل، ويشدّ قامته، مضيفاً:

- ولكن فخامة الرئيس يصرّ على معرفة الحقيقة.. اليوم.

سألته فى حذر:

- ولماذا اليوم؟!

أجابها فى صرامة:

- لأنه لا يسمح ببقاء وزير فى الوزارة، بعد ارتكابه جريمة كهذه.

هتف الوزير فى ذعر:

- لم أرتكبها.

صاح به مدير مكتبه فى حدة:

- من فعلها إذن؟!

مرة ثالثة، نقلت (نهير) بصرها بينهما، وقالت:

- فليكن.. سنرفع جثة القتيل، أوّلاً، ونحاول فحص بقايا الملف المحترق، ثم نبحث عن الأدلة الترجيحية، فى مسرح الجريمة.

بناءً على قرارها، حضر رجال الأمن، وغطوا جثة المسئول المالى القتيل، واتجه أحدهم إلى يسار الوزير، والتقط سلة المهملات، التى تحوى الملف المحترق، وحاول إفراغها فى حرص، فى أحد أكياس الأدلة، فسألته (نهير):

- هل كنت هنا، عندما دخل المسئول المالى حجرة الوزير؟!

اعتدل رجل الأمن، وأجابها، بلهجته العسكرية:

- كنت فى الحجرة الأخرى يا سيِّدتى.

سألته:

- أتقصد حجرة مدير المكتب؟!.

أومأ برأسه إيجاباً، فسألته فى اهتمام:

- صف لى ما حدث عندئذ.

ازدرد الرجل لعابه فى توتر، قبل أن يقول:

- المسئول المالى بدا ثائراً للغاية، عندما جاء فـــى الصباح، وأصرَّ على مقابلة السيد الوزير، فاصطحبه مـــدير المكتب إلى الركن، ودارت بينهما مناقشة هامسة، لم يسمع أحدنا تفاصيلها، ولكنها ضاعفت من ثورته وغضبه، وراح يلوِّح بالملف فى يده فى حدة، فلم يكن من مدير المكتب إلا أن سمح له بمقابلة السيِّد الوزير، وعندما دخلا المكتب معاً، سمعنا صوت مشاحنات مكتومة، أعقبه دوى الرصاصة.

اعتدلت، تسأله:

- وماذا فعلتم حينئذ؟!

أجاب متوتراً:

- اقتحمنا المكتب على الفـــور، فوجـــدنا المـــسئول المالى قتيلاً، والمسدس فى يد مدير المكتب.

سألته:

- والملف؟!

أجابها فى سرعة:

- كان يحترق فى سلة المهملات.

مالت نحوه، وكأنها تستشف ملامحه جيداً، وهى تسأله:

- وهل حاول أحدكم إنقاذ الملف؟!

هزَّ كتفيه، قائلاً:

- لم ندرك ماهيته، ولا علاقته بالأمر.

قالت فى صرامة:

- ولكنها أوراق تحترق، فى سلة مهملات وزيركم.

أشار رجل الأمن بسبَّابته، قائلاً:

سيادة الوزير اعتاد حرق الأوراق، فى سلة مهملاته، لذا لم يخطر ببالنا أن الأمر يختلف.

انعقد حاجباها، وهى تفكِّر فى عمق، فتردَّد رجل الأمن لحظات، ثم سأل، فى شئ من العصبية:

- هل أنصرف، أم...

قاطعته فى حزم:

- يمكنك الانصراف.

وصمتت لحظة، ثم استطردت:

- واترك بقايا الملف المحترق لمساعدى.

اتجه إليه (عزت)؛ ليلتقط الأوراق المحترقة، فتساءل رئيس الديوان فى حيرة:

- وما المفترض أن يفعله بها؟!

أجابته فى هدوء:

- سيحاول معرفة ماهيتها.

قال الوزير فى حدة:

- أية ماهية؟!. إنها أوراق محترقة!.. مجرَّد أوراق محترقة!

قالت بنفس الهدوء:

- ربما بالنسبة لك، ولكن بالنسبة للطب الـــشرعى، يختلف الأمر كثيراً، فالأوراق كانت مكتوبة بحبر ســـائل، أو جاف، أو حتى بأحبار طباعية، وكلهـــا مـــواد، لا تحتـــرق بالنسبة نفسها، التى تحترق بها الأوراق.

غمغم مدير المكتب فى توتر:

- وما الفارق؟!

أجابته:

- ستبقى آثار الحبر المستخدم، على سطح الورقة المحترقة، وبمعالجات كيماوية خاصة، يمكننا إعادة الكلمات، ومعرفة ما تحويه الأوراق.

"هراء!.."..

هتف الوزير بالكلمة فى حدة، فالتفت إليه الكل، ليكمل فى عصبية:

- عندما تحترق الأوراق، تتحوّل إلى رماد، والرماد هش، تزروه الرياح، ومن المستحيل إعادة تجميعه مرة ثانية.

اندفع (عزت) يجيبه:

- معذرة يا سيادة الوزير، ولكن الطب الشرعى يصنع المعجزات، فى هذا المضمار بالتحديد.

كانت (نهير) شديدة الاهتمام، بملاحظة ملامح الوزير ومدير مكتبه، خلال الحوار السابق، ولكن رئيس الديوان لم ينتبه إلى هذا، وهو يقول فى حدة:

- هل سنضيع الوقت فى مجادلات، لا طائل منها؟!

اعتدلت (نهير)، مجيبة فى سرعة:

- مطلقاً..

سألها بنفس الحدة:

- ألم تتوصّلى إلى شئ ما بعد؟!

أجابته فى حزم:

- بالتأكيد.

بدا التوتر، على وجوه الجميـــع، وســـألها رئـــيس الديوان، فى اهتمام شديد:

- من منهما يكذب؟!

صمتت (نهير) لحظة، ثم أجابت، بمنتهى الحزم والثقة:

- كلاهما.

وكانت مفاجأة..

ساحقة.

* * *

(٣)

ذهول عارم، ذلك الذى سيطر على مكتب الوزير، فى تلك اللحظة، عندما ألقت (نهير) تصريحها الأخير..

الوزير بدا مصعوقاً، ومدير مكتبه امتقع فى شـــدة، ومساعدها (عزت) ارتجف، أما رئيس الديوان، فقد حـــدَّق فى وجهها، بكل دهشة الدنيا، قبل أن يقول فى عصبية:

- أى قول هذا يا دكتورة؟!

أجابته، فى هدوء الواثق:

- قول مسئول تماماً.

سألها:

- أتعنين أن الروايتين كاذبتان؟!

أجابته فى حزم:

- بكل تأكيد.

هبَّ الوزير من مكتبه مرة أخرى، هاتفاً فى غضب:

- كيف تجرؤين..

لم يبد عليها أى تأثُّر بغضبه، وهى تقول، مقاطعة إياه:

- عندما تغضب، تهبّ من خلف مكتبك يا سيادة الوزير، ومع حركتك هذه، تدفع سلة المهملات إلى الخلف، فتصبح خلف يسار مقعدك، وفى موقعها هذا، يصعب على مدير مكتبك أن يلقى فيها الملف، ويشعل فيه النار، دون أن تتراجع أنت بإرادتك، لتفسح له المجال لهذا.

امتقع وجه الوزير، وهتف:

- هل تعنين أن..

قاطعه رئيس الديوان فى صرامة:

- الأمر أوضح من أن تناقشه أيها الوزير.. لقد ارتكبت الجريمة، وتحاول تلفيقها لمدير مكتبك، ولكن اتضح أنه لم يكن يملك إشعال النار فى الملف.

أشارت (نهير) بسبّابتها، قائلة:

- قبل أن تتسرّع، يا سيادة رئيس الديوان، ينبغى أن تعلم أن الزاوية، التى يجلس فيها الوزير، لا تتفق مع زاوية سقوط القتيل.

بُهِت رئيس الديوان، وهو يقول فى توتر:

- ماذا تعنين؟!

أجابته فى سرعة:

- جثة المسئول المالى القتيل، كانت ملقاة على ظهرها هنا، ورأسه يواجه اليسار، ولو أن الوزير هو من أطلق النار عليه، لسقط، ورأسه إلى اليمين، وليس اليسار.

ارتجف مدير المكتب فى شدة، ورئيس الديوان يهتف:

- أيعنى هذا أن مدير المكتب، هو من أطلق عليه النار؟!

أجابت في ثقة:

- منطقة وقوفه، وزاوية سقوط القتيل، وتواجد المسدس فى يده، كلها تؤكِّد هذا.

هتف مدير المكتب:

- ولكن الوزير ألقاه..

قاطعته فى حزم:

- رواية وهمية سخيفة، فمع الزاوية التى تقف فيها، كان من المستحيل أن تلتقط المسدس على نحو صحيح، فمن المحتم أن تلتقطه من ماسورته، فى كل الأحوال، سواء كان مشطه ممتلئاً أو فارغاً، والماسورة تكون ساخنة، بعد إطلاق النار، وإمساكها سيترك أثر احتراق على أصابعك، وهو ليس موجوداً كما ترى.

امتقع وجه الرجل فى شدة، وبدا وكأنه انكمش على نفسه، وظهرت علامات الحيرة والتوتر، على وجه رئـــيس الديوان، وهو يقول:

- لست أفهم شيئاً.

ثم لوَّح بذراعيه فى حدة، هاتفاً فى حنق:

- فى البداية، بدا من الواضح أن الوزير هو القاتل، ثم عدت تثبتين أن مدير المكتب أطلـــق الرصـــاص، فأيـــة مفاجأة تخفين أيضاً.

غمغمت:

- فى الواقع.

قاطعها رئيس الديوان فى حدة:

- لا أريد سفـــسطائيات.. أريـــد جوابـــاً صـــريحاً.. ومباشراً.. من أطلق النار على المسئول المالى.

صمتت بضع لحظات، قبل أن تجيب فى حزم:

- هذا.

وأشارت إلى مدير المكتب، الذى تراجع بوجه شاحب، وهتف فى عصبية شديدة:

- لا.. لا.. لن أتحمّلها.. لا..

ثم اندفع يعدو فجأة، محاولاً الفرار من الحجرة، فهتف رئيس الديوان بطاقم الأمن:

- أوقفوه.

وثب أحد رجال الأمن نحو الرجل، الذى راوغه، صارخاً:

- لا.. هذا خطأ.. خطأ..

وحاول الاندفاع نحو النافذة، فاعترض طريقه رجل أمن آخر، وأمسك ذراعه، ولواه خلف ظهره بحركة حادة، ورئيس الديوان يهتف:

- أمسكوا القاتل.

ثم التفت إلى الدكتورة (نهير)، قائلاً:

- لست أدرى كيف فعلتها، ولكن..

قاطعته (نهير):

- ولكننى لم أفعلها بعد.

قال فى توتر:

- ولكنك أمسكت القاتل، وكشفت أمره، و...

قاطعته مرة أخرى، فى حزم:

- ليس بعد.

حدَّق رئيس الديوان فى وجههـــا بدهـــشة، ومـــدير المكتب ما زال يصرخ:

- ما تفعلونه خطأ.. خطأ.

وفى حدة، هتف بها رئيس الديوان:

- لقد أكَّدت أنه من أطلق النار.

أشارت بسبَّابتها، قائلة:

- ولكنك نسيت أنه لم يكن يملك إلقاء الملف، فـــى سلة المهملات، ولا إشعال النار فيه.

سألها مبهوتاً:

- من فعلها إذن؟!

مالت نحوه، قائلة بابتسامة غامضة:

- ومن قال: إنه هناك من فعلها؟!

تراجع رئيس الديوان بحركة حادة، فتراجعت بدورها، مستطردة:

- كل ما قلته، هو أنه لم يكن يملك إشعال النار في الملف.

غمغم رئيس الديوان:

- ولكن..

قاطعته في حزم:

- لم يكن يملك المرونة، ولا الوقت الكافي لهذا.

بدا رئيس الديوان شديد العصبية، وهو يشير إلى الوزير، قائلاً:

- هل فعلها هو؟!

هزَّت رأسها نفياً، فهتف الوزير:

- ألم أقل لكم؟!

ولكنها قالت فى حزم:

- كلاهما لم يكن يمتلك الوقت الكافى، لإشعال النـــار فى الملف.

ثم التقطت نفساً عميقاً، مضيفة:

- لأن الملف لم يحترق.

مرة أخرى، كانت المفاجأة شديدة العنف، حتـــى أن أحداً لم ينبس ببنت شفة لدقائق ثلاث كاملة، قطـــع بعـــدها رئيس الديوان جبل الصمت، قائلاً:

- ولكن كيف؟!.. وما تلك الأوراق المحترقة، التـــى تم حفظها منذ قليل، كدليل من أدلة الاتهام.

أجابته (نهير):

- إنها دليل بالفعل، والمعالجات الكيماويـــة ســـتثبت أنها مجرَّد أوراق، من تلك التى اعتاد الوزير حرقها، فـــى سلة مهملاته، التى يضعها دوماً إلى يساره، أســـفل جهـــاز

تنقية الهواء؛ ليتخلَّص من الدخان ورائحة الاحتراق.. أوراق لا صلة لها بما جاء فى ملف الفساد.

تراجع الوزير فى مقعده، وانكمش مدير مكتبه أكثر وأكثر، فى حين غمغم رئيس الديوان:

- ملف الفساد؟!.. فساد الوزير.

هزَّت رأسها نفياً، وقالت:

- لست أظن الملف يحوى وقائع فساد لوزير وحده، بل ومدير مكتبه أيضاً، وهذا ما جاء المسئول المالى يهدِّد، ويتوعَّد بكشفه فى الصباح، ولهذا انتحى به مدير المكتب جانباً، وحاول منعه من إعلانه، وعندما فشل، اصطحبه إلى الوزير، الذى أدرك مع مدير مكتبه، أنه كشف لعبتهما وفسادهما، فكان من المحتم التخلُّص منه.

هتف رئيس الديوان:

- ولكن من فعلها منهما؟!

أجابته فى حزم:

- كلاهما؟!

اتسعت عينا (عزت) فى دهشة، وحدَّق فى الـــوزير ومدير مكتبه، ولكن أيهما لم يحاول نفى ما قالته، فى حين غمغم رئيس الديوان:

- وكيف هذا؟!

أجابته فى حسم:

- كانا متورطين فى الفساد نفسه، وكان عليهما أن يتعاونا فى إخفاء تورطهما، ولكن المسئول المـــالى دخـــل المكتب بضجة، وكان يلوِّح بملف فساد، لو خرج به مـــرة أخرى، فلا أحد يمكنه التنبؤ بالنتائج، لذا لم يكن أمامهمـــا من خيار، سوى ألا يغادر المسئول المالى المكتـــب، مهمـــا كان الثمن، ومن هنا وضعا خطتهمـــا الـــسريعة، ونفـــذاها فوراً... ولقد اعتمدا فى هذا على مبدأين أساسيين، وهمـــا فكرة شيوع الاتهام القانونى، وما تحتمه من تبرئة الجميع،

ونظام الحكم الفاسد فى بلادنا، والذى يسعى دوماً للتستر على أخطاء الكبار، كما لو كانوا أنصاف آلهة، فاستخدم مدير المكتب مسدس الوزير، وأطلق النار على المسئول المالى، فى نفس الوقت الذى أخفى فيه الوزير الملف، وحاول إقناع رجال الأمن، بأن تلك الأوراق التى تحترق، فى سلة مهملاته تحويه.. وعندما بدأت التحقيقات، راح كل من الرجلين يتهم الآخر، ويؤيِّد أقواله فى الوقت ذاته، على أساس أن النظام لن يجد أمامه سوى كتمان الأمر، ومعالجته على أى نحو كان، بدلاً من اتهام وزير، بتهمة غير محسوبة.

انتهت من روايتها، فساد صمت مهيب، لم يلبث الوزير أن قطعه، وهو يقول فى عصبية:

- خيال جامح يا امرأة.. ولكن دون دليل واحد.

أجابته فى ثقة:

- أعتقد أننا، لو فتشنا مكتبك، فسنجد الدليل، متمثلاً فى ملف الفساد، يا سيادة الوزير.

قال فى شراسة:

- ومن سيسمح لك بتفتيش مكتبى؟!.. أنسيت أننى وزير، أمتلك حصانة سياسية، و...

قاطعه رئيس الديوان:

- هذه مشكلة يمكن حلها.

التفت إليه الوزير بحركة حادة، فتابع فى صرامة:

- بقرار رياسى.

هتف الوزير فى حدة:

- سيادة الرئيس لن يمكنه...

قاطعه رئيس الديوان:

- إقالة وزير... أهذا ما أردت قوله.

شحب وجه الوزير، وتراجع فى مقعده، على نحو كان يمكن أن يجلب الشفقة، لو لم يكن متهماً بجريمة قتل، فى حين بدا مدير المكتب شديد الذعر، وهو ينقل بصره بين كافة الموجودين، قبل أن يندفع، قائلاً فى عصبية:

- لقد.. لقد كنت أنفذ أوامره فحسب.

صاح به الوزير:

- اصمت أيها الأحمق.

إلا أنه تابع، فى عصبية أكثر:

- أنا مستعد للشهادة ضده، مقابل..

قاطعه رئيس الديوان، بمنتهى الصرامة:

- لا مقابل للجريمة.

لم يصدّق الوزير نفــسه، ولــم يــصدق موظفــوه أنفسهم، عندما انصرف من مبنى الوزارة منكّس الــرأس، يحيط به رجلا أمن، ولكن (نهير) كانت تــشعر بالارتيــاح، وهى تسأل رئيس الديوان، داخل السيارة التى تعيدهم إلــى القصر الجمهورى:

– ماذا سيفعلون به؟!

أجابها الرجل فى تحفُّظ:

– هذا يتوقَّف على قرار السيِّد الرئيس.

هتفت فى دهشة:

– ولكنها جريمة قتل؟!

كرَّر، بمنتهى الصرامة:

– الرئيس وحده يقرِّر هذا.

وصمت لحظة، ليضيف فى حزم:

– وتذكَّرى أن قرار انتدابك، يجعل كــشف أى مــن أسرار الدولة، بمثابة خيانة عظمى.

هتفت مستنكرة:

– حقاً!

مال (عزت) على أذنها، هامساً:

- ألم أقل لك.

وفى هذه المرة، لم تعترض أو تجادل بحرف واحد..

فالدرس كان بالنسبة لها سياسياً..

وقاسياً..

للغاية.

* * *

(تمت بحمد الله)

فهـــرس

- جريمة في مجلس الشعب ٣
- نجـم النجـوم ٨١
- جريمة وزيـر ١٢٥

مسرح الجريمة ١

" نهير سالم " طبيبة شرعية وباحثه وعالمة متخصصة في عصر تطور فيه كل شيء .
ولأن التغيير هو سمة الحياة والعلم أصبح سلاح ذو حدين يستخدمه أصحاب النفوس الضعيفة في جرائمهم .
ولكن تبقى العزيمة وقوة الإرادة والإيمان والعلم لكشف هؤلاء الأشرار للإطاحة بهم .
فكان من الضروري أن يتواجد مثلها لتكتشف بعينيها الفاحصتين وعلومها العصرية وحاستها العلمية الخاصة كل لمحة من ذلك المسرح الكبير .

مسرح الحيـــاة ....

مسرح الجريمة ....

- أقرأ التفاصيل المثيرة واكتشف ذلك الغموض .

الناشر
المؤسسة العربية للإبداع
15 ناصر الثورة - الهرم
(+202) 5843711 - 0122722288